الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعيدة د. مولاي الطاهر
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم: اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص نقد عربي قديم
موسومة بـ:

أصول المثاقفة النقدية بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط

من اعداد الطالبين:

- أيت طيب محمد
- عدادي عمر

الأستاذ المشرف:

- د. هاشمي الطاهر

لجنة المناقشة			
الأستاذ (ة)	الرتبة	المؤسسة	الصفة
نور الدين سعيداني	أ. ت. ع	جامعة سعيدة	رئيسا
هاشمي الطاهر	أ. محاضر أ	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
حسين بلهادي	أ. محاضر أ	جامعة سعيدة	ممتحنا

السنة الجامعية:

2024/2023

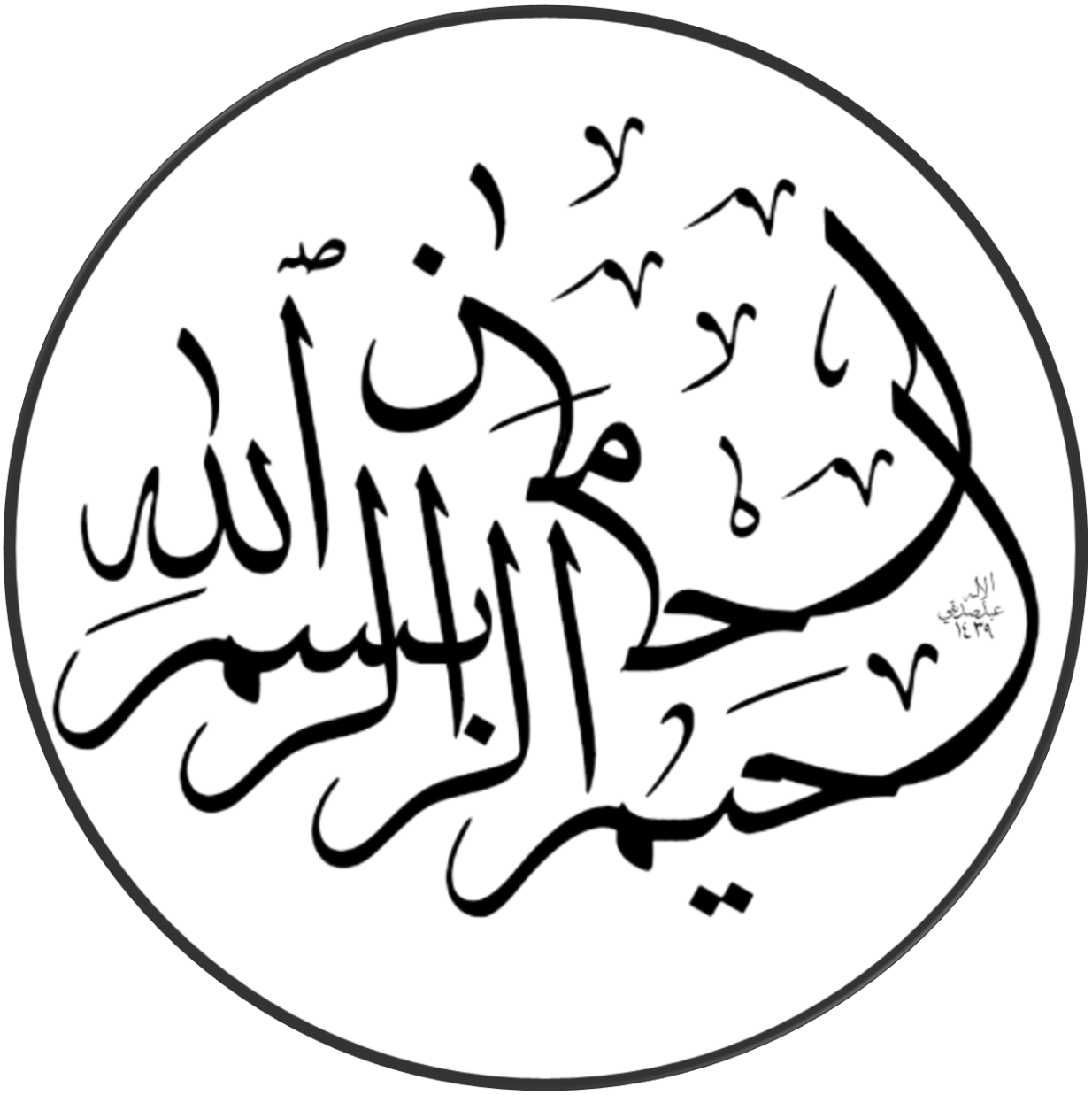
بسم الله الرحمن الرحيم
الأمير
عبدالصادق
١٤٣٩

شكر وعرفان

استنادا لقول سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نشكر المولى تبارك وتعالى على إنعامه علينا بالقوة والصبر والعقل لإتمام هذا العمل البسيط.

كما نتقدم بجزيل الشكر والامتنان لأستاذي -الطاهر هاشمي- الذي كان نعن الأستاذ ونعم المعلم فقد صحح ووجه وقوم معوجا كثيرا كما أتمنى له صحة وعافية دائمتين

كما نتقدم بخالص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة على إعطائهم ساعات من وقتهم الثمين لإثراء الموضوع ومناقشته.

كما لا ننسى أن نشكر كل أستاذتنا في قسم اللغة والأدب العربي لكلية الآداب واللغات والفنون بجامعة د. مولاي طاهر -سعيدة كل باسمه ووسمه.

و في الأخير نشكر أهلينا ز إخوتنا و أحبابنا و كل من ساهم معنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

و الحمد لله في بدء وفي ختم.

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى والديّ ومشايخي الذين أخذت عنهم القرآن والعلم والأدب

أهدي عملي هذا إلى أخي وأختي إلى طلبتي في مدرستي القرآنية الذين هم شحنة روحية

إلى كل من كان لي عونا في هاته المسيرة التعليمية المباركة.

محمد أ.ط

إهداء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى والديّ ومشايخي الذين أخذت عنهم القرآن والعلم والأدب

أهدي عملي هذا إلى أختي وإلى صديقي **محمد أ.ط** الذي كان له دور كبير في عمل في هذه المذكرة

إلى كل من كان لي عونا في هاته المسيرة التعليمية المباركة.

- عدادي عمر

مقدمة

مقدمة:

يعتبر موضوع أصول المثاقفة النقدية بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط من المواضيع المطروحة قديما وحديثا ويبقى يتجدد مدى الدهور ففي القديم تناقشوا وبحثوا في الأدب المقارن الذي يقارن بين أدبين مختلفين في اللغة والزمن أما في وقتنا المعاصر والحديث فقد أخذ البحث منحى آخر وتوسعت دائرته بحيث أسقطوا عامل اللغة والعصر وأصبح التأثير والتأثر هو العامل المعوّل عليه في الدّراسة المقارنة وهذا الذي تسمى بالمثاقفة.

اختلف الدّارسون حول مفهوم المثاقفة ودلالاته ولم يصطلحوا على تعريف واحد لها فكان من تعريفاتها أنها تبادل الثقافة أو حصول فعل التثاقف بين طرفين على الأقل، وأنّ التّمكن من الفنون والعلوم والآداب لا يمكن حدوثه إلاّ من خلال التّفاعل مع الآخر ومن خلال هاته العملية التّواصلية بين الأفراد والجماعات تكتسب المهارات التي تجعل الإنسان أكثر فطنة وحذاقة وأكثر سرعة في فهمه للأشياء والحوادث المحيطة به.

المثاقفة عند العرب والمسلمين ظهرت في حقبة تواجدهم في الجزيرة الإيبيرية المسماة بعد ذلك الأندلس خلال حكمهم الذي دام ثمانية قرون ولمّا كانت مسألة المثاقفة حقيقة قائمة بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية خلال تلك الحقبة، أصبح من الضروري تبيان أصول هاته المثاقفة وكيف تمت وماهي نتائجها.

ومن أجل الكشف عن ملابسات هذا التواصل الثقافي بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط والوقوف على حيثيات هذا التفاعل الذي تسلل في خفاء التحولات التاريخية التي عرفها التقاء الشرق بالغرب خلال هذه الحقبة سعينا إلى صياغة إشكالية الموضوع من خلال تساؤل جوهري هو:

هل كان اللقاء الثقافي بين الشرق والغرب خلال العصر الوسيط حدثا تاريخيا عارضا أم أنه يعود إلى أصول معرفية فرضها منطق التفوق الحضاري وحاجة الغرب إلى الاستفادة من هذا الإشعاع المعرفي الوافد من الشرق؟

وفي سياق هذا التساؤل الإشكالي ولنبيّن مدى تأثير الحضارة العربية في الغرب الأوربي خلال العصر الوسيط باشرنا في معالجته انطلاقا من جملة من التساؤلات أهمها:

كيف بلغت الحضارة العربية عقر دار أوربا؟ أو بالأحرى ماهي المعابر التي سلكتها الحضارة العربية الإسلامية لبلوغ الضفة الغربية؟

ثم فيم تجلى هذا التأثير؟ وكيف انعكست الثقافة العربية على واقع الحياة الغربية في المجالين الأدبي والنقدي.

وللإجابة على كل هاته الأسئلة اعتمدنا المنهج الوصفي المقارن، والوصف سيظهر جليا في بحثنا هذا من خلال عرض المراحل التي سارت من خلالها الحضارة العربية من المشرق إلى المغرب أما المقارنة فقد تجلت في القسم التطبيقي الذي عرضنا من خلاله نماذج بانت في أعمالهم التأثيرات العربية.

ومن أجل الوصول الى هذه الغاية اعتمدنا خطة بحث مفصلة تحوي مدخلا وفصلين، ومع هذا فلم يكن بمقدور ما ورد في هذين الفصلين الكشف الدقيق عن ملابسات هذا التفاعل الثقافي بين العرب والغرب خلال تلك الحقبة، وخاصة فيما يتعلق بوجود التفاعل الأدبي والنقدي لأن مجالات التأثير شملت كل المعارف التي أنتجتها الحضارة العربية الإسلامية.

وبهذا جاء عرضنا لهذه التفاصيل على النحو الآتي:

المدخل: قدمناه تحت عنوان "المثاقفة والمثاقفة النقدية مفاهيم وطروحات نظرية، وعرضنا من خلاله المفاهيم العامة المرتبطة بتفاصيل البحث التي سيجرى الحديث عنها في ثنايا الفصول اللاحقة حيث حاولنا أن نستعرض في تفاصيل ذلك بعض وجوه الكشف عن مفهوم المثاقفة كبديل للدّراسات المقارنة بين الآداب والثقافات، ثمّ نبين من خلال ذلك أصالة هذا المفهوم في تراثنا العربي الذي كان معينا صافيا عذبا استقت منه كلُّ ثقافات الشعوب في الاصقاع المختلفة.

الفصل الأول: قدمناه تحت عنوان "المعابر الكبرى لانتقال حضارة العرب المسلمين إلى الغرب "قدّمنا له بمقدمة بسيطة ذكرنا فيها أهم المبادئ التي اعتمدها العرب في نقل حضارتهم والتي أهمها الإسلام، تمّ جاءت بعده مباحث رئيسة ذكرنا فيها أهم المعابر التي اتخذتها الحضارة العربية الإسلامية للوصول إلى الغرب الأوربي وجاءت على النّحو التّالي:

1- **المبحث الأول:** جاء تحت عنوان معبر الشّام والعراق
2- **المبحث الثاني:** جاء تحت عنوان معبر جزيرة صقلية (جنوب إيطاليا)
3- **المبحث الثالث:** جاء تحت عنوان معبر الأندلس (إسبانيا)

أمّا **الفصل الثاني:** قدمناه تحت عنوان تجليات المثاقفة النقدية بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط، وقد قسّمنا هذا الفصل إلى مبحثين هما كالتّالي:

المبحث الأول: جاء تحت عنوان الانتقال المباشر

المبحث الثاني: جاء تحت عنوان الانتقال غير المباشر (قراءة في الأعمال المقتبسة من الثقافة العربية تجربة دانتي _ أنموذجا_)

ولإتمام هذا البحث وجمع مادته دعتنا الحاجة للرجوع الى بعض ما ألف في هذا الباب ومن أهم المراجع الأساسية التي اعتمدنا عليها: كتاب دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي لعبد الرحمان بدوي وكتاب أثر العرب في الحضارة الأوربية لعباس محمود العقاد.

ومن أهم ما حملنا على الخوض في هذا الموضوع هو وجود غموض وخفاء في الظروف التي أحاطت بانتقال ثقافة المشرق إلى الغرب، والتي سعى الغرب إلى اخفاءها متعمدا لكي لا يظهر فضل الحضارة العربية الإسلامية عليهم ومما دفعنا كذلك هو اعتزازنا و محبتنا لحضارتنا العربية الإسلامية التي نرجو من الله أن يقوينا على إرجاع مجدها وكيانها وتكون شمسا تضيء على كل الأمم كما كانت.

أما الصعوبات في هذا البحث تمثلت في اتساع دائرة الموضوع وشموليته وضيق الوقت، فلو بقينا سنين عددا نحصي ما ساهمت به الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الأوربي لن نستوفيَ ذلك حقه من العرض والتفصيل.

وفي الأخير نشكر الله تعالى على ما منَّ به علينا من عون وتوفيق، ثم نشكر كلّ من كان لنا عونا في إنجاز هذا البحث من بدايته إلى نهايته ولو بكلمة طيبة وأخص بالذكر أستاذنا المشرف **هاشمي الطاهر** الموجه الناصح وأشكر كذلك اللجنة المناقشة التي ستدقق هذا العمل ليكون خالصا نافعا.

جامعة سعيدة يوم: 2024/06/01

الطالبان:

- أيت طيب محمد
- عدادي عمر

المدخل

المدخل:

نحاول في مدخل هذا البحث طرح فكرة المثاقفة والمثاقفة النَّقدية في فكرنا النقدي العربي باحثين عن كيفية حلول المثاقفة محلَّ الدِّراسات المقارنة وكيف تجلَّت المثاقفة داخليا فضلاً عن وجودها في بيئتنا القديمة وتراثنا بصور شتى تحت مسمَّى التأثير والتأثر، وقبل هذا يجب معرفة ماهية هذا المصطلح "المثاقفة"، فهي هنا كما يعرِّفونها أنَّه "اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو المجتمع وهي هنا تسير على الثقافة التي يضيفها الفرد أو الجماعة للثقافة الأصلية"[1] وهذا المصطلح ليس ببعيد زمنيًا وإنما هو راجع لعهد قريب فهو راجع إلى ما كتبه الأنثروبولوجيون الأمريكان في حدود **1880م**، وكانت بعض الدول تعتمده بأسماء أخرى فهو عند الإنكليز التَّداخل الثقافي وعند الإسبان التحول الثقافي، أمَّا الفرنسيون فاختاروا له مصطلح تداخل الحضارات غير أن المثاقفة هي المصطلح الذي نال الشهرة وأخذه العالم العربي ونقَّاده ومفكِّروه، فالمثقف من خلال هذا هو "الشَّخص الحاذق الفطن ومنه نقول ثَقِفَ الشَّيء أي ظَفَرَ به أو وَجَدَهُ وثقف الشيء أَقَامَ المعوَّج منه وسوَّاه"[2].

وكلّ هاته المعاني وسواها تشير إلى الفطنة والحذق والتمكن من الصناعة وكذا إقامة المعوَّج وتصليحه وقد جاءت المثاقفة كمفهوم جديد بصبغة جديدة عن الأدب المقارن الذي يدرس العلاقة بين الآداب القومية المختلفة، والأدب المقارن مدلوله تاريخي بحيث يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة في حاضرها وماضيها وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر.

بينما المثاقفة عملية تأثير وتأثر راسخة في عمق التاريخ الثقافي للأمم فلا وجود لحضارة لم تخضع للمثاقفة تأثيرا وتأثرا أو هما معا، والمثاقفة غاصت في البحث بعمق في التداخل البشري لأنها عملية من عمليات التغيير أو التطور الثقافي التي تَحِلُّ عند تداخل جماعة من

[1] جمال نجيب التلاوي: المثاقفة عبد الصبور وإليوت دراسة عبر حضارية، ترجمة ماهر مهدي وحنان شريف، دار المدى للنشر والتوزيع، ط 1، 2005، ص 6.

[2] ابن منظور: لسان العرب، المادة (ث. ق. ف)، ادب الحوزة، قم، ايران 1984، ج 1.، ص 68.

الناس ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين أو أكثر في اتصال بينهم وتفاعل ينجم عنه تبدُّلات في الحياة الثقافية الأصلية، وفي سياق الدّراسات عبر الحضارية تتماهى الحضارات والهوية وذلك لأنها أصبحت أحد روافد العولمة، تقيم المقارنات بين النصوص المنتمية إلى حضارات مختلفة وقد تشمل حقولا معرفية متعِّددة كاللغويات والنقد والتَّرجمة وبالتالي الأدب المقارن[1]، وهذه الدراسات تهتم بالثقافات الشعبية بالإضافة إلى الثقافات الرسمية، وهذه العلاقات المتداخلة بين الأمم المختلفة أنتجت ما يسمى بـ"المثاقفة" والتي صارت أهم المصطلحات المطروحة بكثرة في السنوات الماضية والتي بدورها تمثل أحد روافد العولمة.

والمثاقفة في مفهومها لا في مصطلحها كانت مشهودة عند العرب فلقد كانت هناك مثاقفة داخلية في الشعر العربي في أيامه الأولى أو ما يسمى بالمرحلة الشفوية، ولقد بان ذلك في فترة الجاهلية حين انتقد النابغة الذبياني حسان بن ثابت في سوق عكاظ وقوّم شعره بلاغيا وأما خارجيا فهو قول النابغة نفسه حينما دخل يثرب فقال: دخلت يثرب وفي شعري بعض العاهة فخرجت منها وأنا أشعر الشعراء وهذا دليل على وجود التأثر الخارجي منذ الجاهلة.

ومما هو متعارف ومعهود أن القصيدة العربية في رحلتها مرت بتحولات بنائية وفق حاجات الناس المعرفية والذَّوقية، كأن الشِّعر عند العرب الهة ممجدة حتى أصبح الشِّعر[2] ديوان علومهم ومعارفهم إِذْ لم يكن لهم غيره... وبعد نزول القرآن والوحي تشكل الشعر وتبدَّل معرفيا من هذا المنظور وعبَّر كل جيل عن مُعْضِلاتِهِ التي تواجهه... ومنه تثاقف الشعر والنثر العربيين تثاقفًا داخليًا من حيث التقاطع واسترداف نوع من نوع وقد أشار إلى ذلك عبد الحميد الكاتب بحديثه عن استرداف بعض الكُتَّاب لغة الشعراء، والتفات بعض الشعراء إلى لغة الكُتَّاب، والعرب لم يكونوا معزولين في جزيرة العرب وإنما كان لهم احتكاك مباشر بالثقافات

[1]–ينظر: جمال نجيب التلاوي: المثاقفة عبد الصبور وإليوت دراسة عبر حضارية، ترجمة ماهر مهدي وحنان شريف، مرجع سابق، ص 6.

[2]– ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص101.

الأخرى فكانت التجارة إحدى هاته الوسائل المؤدِّية للاختلاط مع الآخر (الفارسي والرومي والمصري والهندي) فأتاحت لهم الاطلاع إلى حدٍّ كبير على هذه الشعوب وعاداتها وتقاليدها فنستنطق التاريخ ليحدِّثنا عن الصلة القديمة جدًّا بين العرب والفرس، وهذا الاتصال كان ذا أثر في الشِّعر العربي من حيث أنه أفسح مجالات القول، كالإشادة بالانتصار، والاستبسال فكثيرًا ما كانت تشتبك العلاقات بينهم في حرب إذْ يَغُور أحدهم على الآخر فالخنساء مثلاً في جاهليتها تشبِّه أخاها بالرُّمْح ثم تشبِّه اختياله في مشيته بخيلاء قائد من قواد الفرس قائلة في ذلك:

مِثْل الرُّدَينِي لَمْتَنْفَذْ شِبيبَتُهُ * كَأَنَّهُ تَحْتَ طَيِّ البُرد أَسْوَار**[1]

كما استعار العرب من الأحباش ألفاظا دخيلة كأسماء لأسلحة القتال لم تكن معروفة كالمعابل، يقول زهير بن أبي سلمى:

أَرَادَتْ جَوَازًا بِالرَّسِيسِ فَصَدَّهَا * رِجَالٌ قُعُودٌ فِي الدُّجَى بِالمَعَابِلِ**[2]

والعرب في حياتهم الأولى كان لهم اتصال بغيرهم من الأمم المجاورة رغم بداوتهم وطبيعتهم القاسية وكانت بينهم وبين شعوب تلك الأمم كالروم والأحباش والفرس علاقات ثقافية وسياسية وتجارية انعكست على ما تَمَيَّزُوا به وفي صنعتهم التي هي الكلام وقرض الشعر، ويعد الأعشى من أشهر الشعراء وأكثرهم مثاقفة مع الآخر.

ولما اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى في ظل توسع الفتوحات وازدياد رقعة الدّولة الإسلامية النامية في مختلف الحواضر، ظهرت الحاجة إلى تدوين المعارف الوافدة من ثقافات والأمم الأخرى، وازدادت الحاجة أكثر بإقبال الداخلين إلى الإسلام على تعلم العربية إقبالا منقطع النظير للتعرف على عقيدة الإسلام وشريعته ... وهذه المرحلة التي بدأ فيها التدوين والكتابة هي التي أسهمت في ترسيخ المفهوم الحقيقي للمثاقفة القائمة على مبدأ التأثير والتأثر

[1] ينظر: ديوان دعوة الحق للخنساء، ص110
[2] ينظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص101.

فقد تأثّر الخطاب الأدبي والشعري خصوصًا في هاته المرحلة في بعض أجناسه وأشكاله بغيره من الأمم استحداثا وتقنية، أما بناء القصيدة فبقي على حاله مستقرًا في هيكله الخارجي واتجهت المثاقفة المعرفية إلى داخل المرجعية العربية، حتى كان شعراء غير منتميين لأصول عربية يختزنون الثقافات التي ينتمُون إليها ويعطونها طَابِعًا عربيًا، وزادت شدة التأثر بعد ترجمة متَّى بن يونس لكتاب أرسطو فن الشِّعر بحيث أعيد تهذيب الشِّعر ونقده وفق أسس (يونانية) فأدخلوا المحاكاة والتمثيل والتشبيه وغيرها فيهذا التأثر.

"أما في مجال التأثير العربي في فترة العصر الوسيط فهو واضح جلي وكثير من النقاد يحاولون طمسه وعدم تبيانه والذي نراه ونعتقده بعد استنطاق التاريخ أن العقل يأبى تصديق أن قيام الأدب العربي في الأندلس يذهب من التاريخ الأوروبي دون أثر مباشر على أذواق الناس وموضوعاتهم وأفكارهم.

وممَّا يُقِره الأستاذ **جِبGibb** في مجموعة التراث الإسلامي وعقد له فصلاً ممتعًا عن أثر العرب في الآداب الأوروبية قوله: وإنَّنا –يعني الأوروبيين– مدينون لبطحاء العرب وسورية بمعظم القوى الحيوية الدَّافعة، أو بجميع تلك القوى التي جعلت القرون الوسطى مخالفة في الروح والخيال للعالم الذي كانت تحكمه روما"[1].

كانت منتجات الثقافة العربية وآثارها ترد على أوروبا في القرون الوسطى من ثلاث وجهات متلاحقة: أولها التجار الذين كانوا يَقْدُمُونَ من آسيا وأوروبا الشرقية من بحر الخرز والقسطنطينية، وثانيا في البلاد التي استعمرها الصليبيون وعاشوا فيها طويلا بين سورية ومصر وثالثا من جهة صقلية والأندلس التي انتشر فيها المسلمون وكَثُرَ المتكلمون باللغة العربية وهاته النقاط سنتعرض لها بالتفصيل فيما هو قادم من مباحث الفصل الأول.

[1] عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، كلمات للترجمة والنَّشر، د ط، 2013م، ص 54.

كما ذاع تعليم العربية في هاته الفترة بسبب السيطرة الإسلامية وقوتها وممَّا يروى عن كاتب اسباني يدعى **ألفارو** قوله: "إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها"[1].

وعلى سبيل العموم نذكر انتشار الأشعار الحماسية في أوروبا في القرون الوسطى والتي نجدها وليدة الحياة الحماسية التي سرت من الفاتحين العرب والمسلمين فأوروبا لم تكن تعرف الفروسية ولا نخوتها الحماسية إلا مع وفود العرب إلى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم فيها والذي أضاف نوعية جديدة للشعر الإسباني من ناحية الغرض علاوة على استخدام بعض المصطلحات الشعرية العربية كشعراء **التروبادور** الذين نقلوا تجاربهم من قصور الأندلس العربية في ذلك الزمن إلى قصور وشوارع أوروبا الغربية.

وبما أن موضوعنا نقدي فإننا سنتوقف على بعض المسائل النقدية المطروحة في العصر الوسيط والتي طغت بكثرة وكيف تأثر بها كُتَّابنا من قَبْل هذا فظهر ما يسمى **بالنقد العربي** وكتاب "**نقد الشعر**" وهو مرتبط أشد الارتباط بكتاب "**فن الشعر**" "**لأرسطو**" وأفضل من عرض هذا الموضوع هو "**ابن سينا**" الذي كان هو حلقة الوصل بين التراث اليوناني القديم والحضارة الغربية الحديثة وهذا من خلال مساهماته الهامة في الفلسفة والطب ونقل الفكر اليوناني إلى الحضارة الإسلامية ومن ثم إلى الحضارة الغربية التي تأثرت بأفكاره و أعماله ..الخ، ومن خلال ترجمته لأعمال الفلاسفة ومن بينهم أرسطو نجد أنه قد تولّدت منه قضايا جزئية أبرزها المحاكاة لقد كان لكتاب "فن الشعر" لأرسطو الأثر البالغ في النقد العربي القديم لما احتواه من مبادئ ومرتكزات التكوين الفني الذي لم يكن العرب يعرفونه ولم يكن لهم تمثيل في بيئتهم المحيطة، لذلك كانت شروح الفلاسفة لهذا الكتاب بمثابة إسقاط أفكار هذا الكاتب على الكتابات والإبداعات الأدبية.

[1] المرجع السابق، ص 55.

فالنقد حتى القرن الثالث كان نقدا جزئيا ذوقيا، ثم تبدَّلَ وتغيَّرت ملامحه إلى التعميم والتأصيل وبناء القواعد، وكذا النقد الأدبي في الأندلس والذي عرف حركة مميزة وهذا بالتأثر بالوضع الأندلسي وشعره ومجالاته وقضاياه وذُكِرَت مع أمالي القالي وابن رشيق القيرواني ابن عبد ربه وغيرهم، ثم جاءت في القرنين السادس والسابع مفاهيم وتعاليم جديدة كانت فيها المدرسة النقدية الأندلسية والمغاربية مكتملة وبرز فيها نقاد أفذاذ مثل: حازم القرطاجني، وابن بسَّام وغيرهم، وطرحوا أفكارا جديدة تقريبا لم تكن معهودة وإنما جاءت نتيجة التأثر بغيرهم (الغرب) كبحثهم في علاقة الشعر العربي بالثقافة اليونانية والمفاضلة بين الأندلس والمغرب وقضية المفاضلة بين الشعر والنثر، والاحتكاك بكتاب "**فن الشعر**" "**لأرسطو**" في هذين القرنين غيَّر حتى في الجانب المصطلحي فأدخل الناقد العربي لقاموسه مصطلحات جديدة كالأقاويل الشعرية والتخييل والمحاكاة.

الفصل الأول:

المعابر الكبرى لانتقال حضارة العرب المسلمين إلى الغرب

المبحث الأول: معبر الشام والعراق

المبحث الثاني: معبر جزيرة صقلّية (جنوب إيطاليا)

المبحث الثالث: معبر الأندلس (إسبانيا)

في التاريخ الإسلامي، شهدت الفتوحات الإسلامية توسعًا هائلاً للإسلام وتوسيع نطاق الدولة الإسلامية، ولعل من أبرز الفتوحات الإسلامية التي قادها العرب كانت الفتوحات الإسلامية في القرون الأولى للإسلام، حيث امتدت من شبه الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا وإسبانيا وجنوب فرنسا وبلاد الشام والعراق وإيران وآسيا الوسطى.

هذه الفتوحات، وساهموا بشكل كبير في توسيع نطاق العالم الإسلامي ونشر قيمه وثقافته فكانت أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، حيث نزل القرآن الكريم باللغة العربية وفي العرب دون غيرهم من الأقوام، فحثهم على طلب العلم والمعرفة وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، جعل منهم أول أمة تجمع بين قوة الإيمان وحب التعلم، فقد جاء في أول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم أن "**اقرأ**"، في قوله تعالى في سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ اَلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ **–سورة العلق، الآيات من 1 إلى 5–**

لقد كانت هذه السورة الكريمة دعوة إلى العلم والقراءة وذكر لأهم وسائل التعلُّم وهو القلم، ومن خلال هذه الدعوة سادت الأمة العربية فنشرت عقيدة وأقامت حضارة وأخرجت العالم من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

وممّا تجدر الإشارة إليه أن الأمة العربية قبل مجيء الإسلام، كانت تعيش في حالة من التفرق والتنافر القبلي، حيث كانت القبائل تتنازع بشأن السيطرة على الموارد والأراضي. كانت هناك أيضا حروب دائمة بين القبائل، وكانت الثقافة العربية تتميز بالشعر والفخر والشجاعة في المعارك بالإضافة إلى العادات السيئة التي كانت تسودها آنذاك كالخمر والمجون ووئد البنات "أي دفنهن أحياء حين ولادتهن"، حتى جاء الإسلام ورفض هذه التصرفات وغيرها من العادات السيئة التي لا تمت للإنسانية بصلة.

هذا وقد "ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، وامتد فيها إلى الشام والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر (التركستان) والسند في آسيا، وإلى مصر والمغرب

والسودان في إفريقيا وإلى الأندلس وصقلية وكريت في أوروبا، وقامت في هذه الرقعة الواسعة دولة عربية كبيرة، كان لها شأن كبير في العصور الوسطى"[1].

تأثير الإسلام على الأمة العربية وأوروبا كان شاملاً وعميقًا، حيث أنه في العالم العربي قام بتوحيد القبائل العربية تحت راية واحدة، فقد "صاغ الإسلام الأمة العربية صياغة جديدة، فغيَّر كثيرًا من مفاهيمها وطبائعها، ومثلها، وقيمها وعاداتها وتطلعاتها، فإذا بها كما جاء في الذكر الحكيم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ – آل عمران، الآية 110– فنشأت تحت راية هذه العقيدة حضارة إسلامية تزخر بالعلم والفلسفة والفنون والعمارة.

تجلى تأثير العقيدة الإسلامية على الإنسان تجليا إيجابيا حيث ساهمت في تنشئة الفرد تنشئة فاضلة تهدف من خلالها إلى تقويم سلوك الإنسان اجتماعيًا وإنعاش القوة المحركة للحضارة الإنسانية، وهذا من خلال الوحدة الدينية التي جمعت بين أفراد الأمة الإسلامية التي تتألف من ملايين المسلمين حول العالم من مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات وذلك من خلال القيم الإسلامية المشتركة التي جاء بها الإسلام ودعا إليها ومن أهم الأمور التي حث عليها الإسلام هي طلب العلم والمعرفة ولو كان في أبعد بقعة من الأرض، لأن طلب العلم فضيلة تغني الإنسان عن تضييع وقته وجهده وحياته فيما لا يدر عليه بفائدة، أمَّا تأثير الإسلام في الدول الأوروبية كان تأثيرا هائلاً عبر العصور، حيث كانت تجلياته في نقل المعارف والعلوم من الشرق إلى الغرب خلال العصور الوسطى عبر الحضارة الإسلامية في الأندلس والعلاقات التجارية، كما ساهم في إثراء الثقافة الأوروبية من خلال العلم والفلسفة والفنون الإسلامية التي أثرت على التطور الثقافي في أوروبا، مثل مدرسة طبقات كوردوبا وهي مدرسة فلسفية وعلمية بارزة في العصور الوسطى في الأندلس (إسبانيا الحالية) تأسست في القرن العاشر ميلادي في مدينة قرطبة، وكانت مركزًا رائدًا للعلم والفلسفة والطب والرياضيات والفلك

[1] أحمد علي الملاّ: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، دمشق، سوريا، 1401هـ/ 1981م، ص 8.

وغيرها من العلوم، كانت هذه المدرسة موطنًا للعلماء المسلمين والمسيحيين واليهود، الذين عملوا معًا على ترجمة ودراسة الأعمال الكلاسيكية وتطوير المعرفة في مختلف المجالات.

والأمة العربية الإسلامية لم تنطلق في مسار بحثها وتنقيبها عن المعرفة الإنسانية من العدم، فقد اعتمدت هذه الأمة على الدين الإسلامي الحنيف، وهو بدوره اعتمد على مبادئ عديدة، نذكر أهمَّها على سبيل الإجمال:

1/ مبدأ شمولية طلب العلم:

ويعد هذا المبدأ الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها الدين الإسلامي ويعني أن العلم والمعرفة لا تقتصر على مجال معيَّن أو فئة معيَّنة من الناس، بل ينبغي أن يكون متاحا للجميع دون تمييز، كما أن الإسلام يشجع على اكتساب العلم والمعرفة في جميع المجالات، سواء كانت دينية أو دنيوية، وهذا لتطوير قدراتهم واكتساب مهارات ومعارف متنوعة وتعزيز التفاهم والتعايش السلمي بين النَّاس، فالله سبحانه وتعالى كرَّم العلم والقراءة ووسائلها مثل: القلم والصحف...وغيرهما ممَّا جاء في الآيات الكريمات التي تعلي شأن العلم وأدواته كما أعلى الإسلام من شأن العلماء وطالبي العلم، فقد جاء في الذِّكر الحكيم ما يدل على أن العلماء هم أقرب الناس إلى الله سبحانه وتعالى لأنهم يخشون الله في كلِّ أمورهم، ولهذا فقد أعلى الإسلام من شأنهم وهم أولوا الأمر الذين يبتغى العلم من لدنهم، يقول عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ **-سورة فاطر، الآية 28-** ، ومن هنا نعلم أنَّ مبدأ العلم في الإسلام هو مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة خلال العصور وعبر التاريخ.

2/ مبدأ التدبُّر والتأمُّل في ملكوت الله:

وهذا المبدأ هو الثاني في قائمة مبادئ الدين الإسلامي وهو جزء أساسي من العقيدة الإسلامية، بحيث يدعو المؤمنين إلى التدبر والتأمل في آيات الله وآثاره في الكون، وذلك لفهم أهمية الخلق والحياة وعظمة الله وقدرته وحكمته ومعجزاته وهذا بإعمال العقل والبحث والتساؤل لإنتاج معرفة حقيقية ذات فائدة للبشرية عامة وقد تمثَّلت هذه الدَّعوة في العديد من الآيات القرآنية في سورة البقرة وآل عمران ويونس والروم والغاشية، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ اَلْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **-سورة البقرة، الآية 164-**، وهذه الآيات تفتح أمام العقل الإنساني آفاق جديدة من المعرفة الكونية وهو كذلك يعتبر من أحد الطرق لتعزيز الإيمان وتقوية الروح والعقل وبناء شخصية مسلمة متوازنة ومسؤولة.

3/ مبدأ تكريم الله للإنسان:

يعتبر الدين الإسلامي الدين الوحيد الذي يمجِّد الإنسان، ويوليه أهمية كبرى وفي هذا الشأن يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ **-سورة الإسراء، الآية 70-**، فالله تعالى خلق الإنسان بعناية ورعاية وأعطاه مكانة خاصة في الخلق وكرَّمه بالعقل الذي يمنحه القدرة على التفكر والتدبر واتخاذ القرارات ومعرفة قيمة ذاته ومن سوّاه وهذا ما يميّزه عن باقي المخلوقات.

لم يقتصر اعتماد الدين الإسلامي على ما تمَّ ذكره وشرحه سلفًا من مبادئ لكن ركَّزنا على أهمها، أما المبادئ الأخرى هي كالآتي: مبدأ المساواة الإنسانية، مبدأ الانفتاح والتعارف من خلال هذين المبدأين حرص العرب المسلمون على الانفتاح على الشعوب والثقافات الأخرى، وتفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع ثقافات الأمم والشعوب التي عرفت الإسلام.

إنَّ عملية الإخصاب بين الفكر الشرقي العربي الإسلامي والفكر الغربي الأوروبي قد حدثت على مر العصور وأثرت على تطور الفكر الإنساني بشكل عام، تمثل هذه العملية تبادلاً ثقافيًا وفكريًا بين الثقافات الشرقية والغربية وتأثيراتها متعددة ومتنوعة من الجانب الشرقي الإسلامي، أسهم الفكر الإسلامي في العديد من المجالات مثل العلوم، الفلسفة، الطب، الرياضيات، والفنون، كما قدَّم الفكر الإسلامي مساهمات هامة في مجالات الأخلاق والقانون والتصرف وغيرها وتأثيره ملموس في الحضارة الإنسانية.

من ناحية أخرى، أثَّر الفكر الغربي الأوروبي على الفكر الغربي الأوروبي على الفكر الشرقي الإسلامي بعد التواصل والتبادل الثقافي، حيث استفاد العلماء والفلاسفة العرب من التقدم الفكري والعلمي في أوروبا في عصور مختلفة.

هذا التفاعل الثقافي والفكري بين الشرق والغرب ساهم في إثراء الحضارة الإنسانية بشكل عام، وتبادل الفهم والتقدير بين الثقافات المختلفة، وتطوير الفكر والعلم والفن والتكنولوجيا على مر العصور.

لقد تمَّ التلاقح بين الثقافة العربية ذات الطَّابع الإسلامي وبين الثقافة الغربية الأوروبية من خلال معابر وجسور، نحدِّد كلٌّ منها في مبحث على النحو الآتي:

1- المبحث الأول: معبر الشام والعراق

الشَّام والعراق من المراكز الأساسية التي حَوَت الحضارة العربية الإسلامية، فهما من أهم حواضر الخلافة الإسلامية لِمَا لهما من أَمَدٍ ضارب في تاريخ الحضارة، ففي تاريخها تعاقبت عليها عدَّة حضارات وعدَّة ديانات سماوية وعدَّة لغات، فبلاد الشَّام كانت تحت سيطرة الرُّومان وحكمهم قبل الفتح الإسلامي وهذا الفتح جاء بعد حرب ضروس دامت ثلاثة أيام بين العرب والرُّوم فكان «فتح دمشق من أَهَمِّ فتوح العرب في سوريا، ولم تلبث دمشق الشهيرة أن أصبحت في العهد الأموي عاصمة الدَّولة العربية بدلاً من المدينة[1]»، ففي العراق مثلاً « فتحت الجيوش العربية الإسلامية العراق في عهد الخلفاء الرَّاشدين –**رضي الله عنهم**– وجدت أمامها حوالي سبعة ملايين عراقيًا لغتهم الثقافية والدينية هي السِّريانية بما فيهم الجماعات العربية في إمارة المناذرة في الحيرة أما من النَّاحية الدِّينية فإنَّ غالبيتهم السَّاحقة تابعين للكنيسة النِّسطورية وهناك أقليَّات من أتباع الكنيسة اليعقوبية (السورية السِّريانية) وكذلك اليهود والمندائية (الصابئة)» [1].

والعرب دخلوا الشَّام **(سوريا)** وفتحوا جميع مدنها ومن أهم ما فُتِحَ من المدن "**مدينة القدس**" التي كان المسلمون يعلِّقون أهمية كبيرة عليها نظرًا لقدسيتها ففيها مهبط الأنبياء والدّيانات وفيها رفع المسيح الذي هو عند المسلمين من عظماء الأنبياء ومنها عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلَّم إلى السماء.

والعرب المسلمون كانوا منفتحين مُتَسَامحِينَ مع جميع من خالطوهم من الدِّيانات الأخرى والثقافات المغايرة وهذا الانفتاح شهدت به الحضارة العربية أعلى مراحل التطور والازدهار بعد انتهاءها من الفتوحات الإسلامية، فأدارت عجلتها من المجال الحربي والعسكري إلى المجال العلمي، فاهتم الخلفاء الرَّاشدون وحكَّام بنو أميَّة والعباسيون من بعد ذلك بالعلوم والزراعة والصناعة والآداب وشتى المعارف الإنسانية، «لقد ارتقى العرب المسلمون بالحضارة الإنسانية

[1] غوستاف لوبون: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د. ت)، ص 164.

[2] سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الرَّاشدين، مكتبة العبيكان للنَّشر والتوزيع، ط 1، الرِّياض، السعودية، 1431ه / 2010م، ص 68.

عندما جاء دورهم في بنائها منذ نزل الروح الأمين بـ: "**اقرأ**" على قلب محمد بن عبد الله – **صلى الله عليه وسلم**– فنقلوا وترجموا وصحَّحوا ودرسوا ثمَّ أضافوا فأبدعوا[1]»، والعرب في نقلهم للتراث اليوناني لم يكتفوا بترجمته فقط بل صحَّحوا ونَقَّحوا وأضافوا إليه ما جادت به معارفهم ليُعطوه صبغة جديدة عربية إسلامية، وكأنما أعادوا إحياءه من جديد.

شكَّلت المدن العربية الإسلامية التي دخلها المسلمون فاتحين جسورًا ومعابر وهمزة وصل بين القارتين الآسيوية والأوروبية حيث كان معبرا العراق والشام فاتحة خير للأوروبيين فلولا العرب لما وصل للغرب تراثهم الأوروبي ولَفُقِدَ واندثر وما أدركوا منه شيئًا ومن المدن التي كان لها دور رئيس في هذا الفعل الحضاري الشَّام والتي تسمى "سوريا" حاليًا وهاته المدينة لها مزية خاصة عند العرب والمسلمين لما لها من فضل في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ومنها انطلقت الدَّعوة المحمَّدية مخترقة أعماق القارَّات الثلاث آسيا، إفريقيا وأوروبا.

كما يعتبر العراق من أغنى أمصار العالم، فكانت منطقة تجارة وأسواق وكان هذا عاملا أساسيًا في التَّواصل بين المسلمين وغيرهم ومنه تمَّ نقل معارفهم وعلومهم وعرف الناس الإسلام من خلال التجارة فدخلوا فيه نوادي وأفواجًا، كما ساهم اختلاط العرب مع غيرهم من الشعوب والأمم في رفع أفق الفكر العربي الإسلامي وانفتاحه على مختلف العلوم فقد «جاورت بلاد العرب عند ظهور الإسلام في مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرن الأول الهجري، السابع ميلادي أربع أمم (حضارات) كبرى كان لها أثر بارز في نقل العلوم إلى العربية هي: اليونانية (الإغريقية) والسِّريانية الشَّرقية والفارسية والهندية»[1].

وهذا التأثير والتأثر جاء بعد مجموعة من الآليات والإجراءات اتَّخذها العرب المسلمون منها الرّحلات التجارية والنَّقل والتَّرجمة، وهاته الأخيرة هي العامل الرَّئيس في نقل المعارف والعلوم، في بدايتها كان العرب يقرؤون من الدَّرجة الثالثة أي من السريانية عن اليونانية وبعد تمكُّن العرب من اللغة اليونانية أصبحت الترجمة مباشرة دون واسطة سريانية.

[1]شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، (د. ط)، دمشق، سوريا،1996م، ص 192.
2علي بن إبراهيم النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 3، الرياض، 1427ه / 2006م، ص 41.

والحضارة العربية في بدايتها تأثَّرت بالحضارات التي عاصرتها ولكن سرعان ما أصبح تأثيرها فيهم أكبر ولقد كان دورها في النَّهضة الأوروبية أعظم، وهذا المعبر (الشام والعراق) يحاول الأوروبيون طمس حقيقته ويسيمونه باللاشيء والذي لولاه ولولا العرب لما عرفُوا من تراثهم شيئًا ولكن هذا ديدن الرجل الغربي الذي يرى نفسه دائما فوق العالم وهو الشعب المختار.

كان لحركة النَّقل والترجمة أهمية كبيرة وأثر بالغ في تطوير المعرفة الإنسانية في الحضارة العربية الإسلامية كما ذكرنا سابقًا، وشغف الخلفاء والأمراء المسلمون بالكتب واهتمامهم بالعلم ساهم بشكل بارز في رفع الهمم إلى البحث والترجمة والتَّأليف، وإغداق الأموال على النَّقلة والمترجمين وإعفاءهم، فما كان من الكتَّابِ إلاَّ أن سَعَوْا وراء تلك الهبات مخلِّفين بذلك نفائس أَتحفت المكتبة العربية وأثرتها.

ويعتبر العصر العباسي أسمى العصور العربية حيث شَهِدَ رُقيا وازدهارا على جميع الأصعدة والمستويات السياسية، الاقتصادية وخاصة المجال الفكري والأدبي، فأبو جعفر المنصور كان له يَدٌ طولي في إرساء النُّضج والتَّطور العربيين فأسَّس بيت الحكمة في بغداد عام 765م والتي شكَّلت قفزة نوعية واعتُبرت مركزًا فكريًا وعلميًا بامتياز، وكان ظهور الورق والتَّقدم الصِّناعي ولأول مرة في العالم العربي عاملاً مُهِمًّا في النمو الحضاري والفكري وهذا الاكتشاف جاء بعد التقاء العرب بالصينيين و«سرعان ما أصبحت سمرقند المركز الإسلامي الرَّئيس لصناعة الورق، كذلك ازدهر هذا الفن بسوريا وشمال إفريقيا ومدينة شاطبة "JATIVA" الأندلسية التي تخصَّصت في صناعة الصَّحائف الورقية الثقيلة اللَّماعة، وقد ورد ذِكر أوَّل مصنع للورق ببغداد سنة 795م. وصار سوق الورَّاقين لاحقًا، الذي يَضُمُّ مئات الحوانيت التي تبيع السلع الورقية الفاخرة، مفخرة عاصمة العباسيين الحقيقية»[1].

تزايد النتاج الفكري والثقافي بعد هذا الاكتشاف الذي سهَّل الحياة العلمية وقد لاقى ترحيبًا من الخلفاء وأصحاب السُّلطة، فكان العصر العبَّاسي هو العصر الذهبي للأمَّة العربية الإسلامية لكثرة الإنتاج الفكري فيه، فالعرب عُرِفَ عنهم في هاته المرحلة بالذَّات شغفهم بالعلم

[1]– جوناثان ليونز: بيت الحكمة (كيف أسَّسَ العرب لحضارة الغرب)، مركز البابطين للترجمة مع الدار العربية للعلوم "ناشرون"، (د. ط)، الكويت، (د.ت)، ص 86.

ومحبتهم للكتب وقدَّروها حقَّ التَّقدير وقد وصفت المستشرقة الألمانية "**زيغريد هونكه**" هذا الشغف قائلة: "لقد أحاط العرب الكُتُب بقلوبهم، حتَّى المؤلفات الفنية الدّقيقة في الهندسة والميكانيكا والطب والفلك والفلسفة ... وكما يستولي المنتصرون اليوم على المناجم والصناعات الحربية الهامَّة والأسلحة المدمرة مع مخترعيها نرى المأمون بعد انتصاره على ميخائيل الثالث (**Michael 3**)، قيصر بيزنطية، يطالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء التي لم تتم ترجمتها بعد إلى العربية ... إنها أيضًا أسلحة تساهم في بناء المجد"[1]

وهذا كله لاعتقادهم الجازم أنّ العلوم لا تُقدَّرُ بثمن حتَّى وصل بالملوك أن اشتروا الكتب بالذهب ففهموا حق الفهم العبارة القائلة "الكتاب أهم وسيط في السِّياسة والعلم أنبل سفير للسلام" ومنه أقر الأوروبي بقيمة الرجل العربي المسلم الذي أولى معرفة للعلوم الإنسانية أهمية كبرى.

مهما بلغت حضارة من الحضارات عزًّا ومجدًا لن تعدو أن تكون في دواخلها مجموعة من تراكمات لحضارات سابقة عنها فتتداخل وتنسجم هاته الحاضرات ويكمل بعضها بعضًا لتصير حضارة فاعلة في زمن من الأزمنة كالحضارات الشرقية القديمة والإغريقية واليونانية، وهاته أيضًا بدورها ستكون في وقت ما منطلقا لحضارات أخرى أكثر ازدهارا وتطوّرًا من سابقاتها فليست «الحضارة اليونانية إلا امتداد واقتباس للحضارة العربية القديمة في واد الرافدين ووادي النيل، وبلاد الشام فاليونانيون اقتبسوا من الحضارة العربية في شرقي البحر المتوسط ومصر ...وعاد إلينا على أنه علم وطب يونانيان...»[2].

لقد ساهم معبر الشام والعراق في نقل الحضارة العربية الإسلامية أيام ازدهارها إلى الجانب الغربي الأوروبي، كما لهذين المعبرين دور فعال وكبير في انتقال معارف الآخرين إلى الحضارة العربية الإسلامية، وجاء اعتراف بهذا على يد قلم صادق غربي حيث صرَّح "**جورج سارتن**" في كتابه "**تاريخ العلم**" قائلا عن الحضارة اليونانية "إن المعجزة اليونانية المزعومة لها أبٌ وأُمٌّ شَرعيَّان، أما أبوها فهو تراث مصر القديمة، وأما أُمُّها فهي ذخيرة بلاد

[1]ـــزيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 375.
[2]-شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، مرجع سابق، ص 185.

ما بين النَّهرين، والشرق القديم مهد الحضارات والمعلم الأول للبشرية في المجالين: المدينة المادية والعلوم كلها، وفي المجال الرُّوحِي والمعتقدات الدينية"[1]

الشام والعراق معبران من معابر الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب الأوروبي وكان رافدا أساسيا نشأت وتطوّرت فيه جل المعارف الغربية وسنعرض فيما هو آت معبر صقلية ومعبر الأندلس الذي لهما دور مهم وأثر بالغ في النقلة الحضارية.

[1]المرجع السابق، ج 9، ص 188.

2-المبحث الثاني: معبر جزيرة صقلية (جنوب إيطاليا)

صقلية تعتبر البوابة الثانية بعد الشَّام والعراق في إيصال الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا، وصقلية هي جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط يُقال لها بالإيطالية "**سيشيليا**" واسمها الحقيقي والرَّسمي هو "**منطقة الحكم الذاتي الصقلية**"، هي ذات موقع استراتيجي هام على جميع الأصعدة، وكان لها دور بارز في المبادلات التِّجارية يبلغ إجمالي تعداد سكانها حوالي خمسة ملايين نسمة، يغلب على شعبها محبتهم للفنون وتعلقهم بها، وموقعها الإستراتيجي جعلها محط أنظار الدول المجاورة لها للاستيلاء عليها فموقعها في البحر الأبيض المتوسط ملفت للانتباه بالإضافة إلى قربها من الشَّمال الإفريقي بحوالي **160** كلم.

فمثلا في عام **652م** غزا "**معاوية بن حُديج**" صقلية مُرسلا من قبل "**معاوية بن أبي سفيان**" أيام إمارته على الشَّام زمن الخليفة الرَّاشد "عثمان بن عفَّان"-**رضي الله عنه**- وإن تلك الحملة قد هجمت على معاقل الرُّوم فيها ثم عادت، وفي سنة **669م** غزا "**عقبة بن نافع**" الرُّوم في البحر ومن المؤكد أنَّ تلك الحملة كانت على صقلية وفي سنة **704م**بقيادة "**عبد الله موسى بن نصير**" بأمر من أبيه وتكلَّلت بالنجاح، وتوالت الحملات إلى أن سقطت مدينة **بالرمو** في أيدي المسلمين بقيادة "**أسد بن الفرات**"، الذي استشهد عند أسوار مدينة "**سيراكوزه**" ثم افتتحت بقية مدن صقلية، وتمَّت السيطرة عليها نهائيا سنة **902م**[1].تزخر هاته الجزيرة بمقومات حضارية عريقة لكونها دار العديد من الحضارات التي تعاقبت عليها، ولشعوب مختلفة انحلَّت داخل هاته الأرض لتشكِّل بذلك تراثًا ثقافيًا وحضاريًا خاصًّا وفريدًا من نوعه وبغزو العرب المسلمين لها ودخولهم أصبحت صقلية قطبًا ومرجعًا حضاريًا يُهَاجِرُ إليه الأوروبيون لطلب العلم والمعرفة لتشكِّل بعد ذلك نقطة تواصل وعبور للقارات الثلاث (الآسيوية والأوروبية والإفريقية) نظرا لموقعها المتوسّطي الذي جعل حضارات شتّى تلتقي وتتلاقح كالفينيقية واليونانية، الرومانية، القوطية، البيزنطية والعربية.

[1]عدنان محمد زين سومي: رسالة دكتوراه في الدراسات العربية والحضارة الإسلامية، موسومة ب: أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا، قسم اللغة العربية، جامعة جالا الإسلامية، ص 4.

توسَّعت الفتوحات الإسلامية وذاع صيت حاكميها في أصقاع العالم فكان لذلك أثر بالغ في نشر الثقافة العربية الإسلامية، فبتشبُّع العرب بثقافة الدِّين والقرآن فكَّروا في اختراق المسافات البعيدة واجتياز البحار والمحيطات، فأصبح العربي بأخلاقه الدِّينية والإسلامية خَيْرَ من يُضْرَبُ به المثل وخير قدوة في كلِّ مكان فتحوه من قبل، تقول المستشرقة "**زيغريد هونكه**" في هذا السِّياق:«ومع أنَّ الشعوب في البلدان المفتوحة فيما عدا البربر والإسبان كان لها حضارات ومدنيات متوارثة، فقد كان للسيِّد العربي في نظر أغلبهم إذا استثنينا المتعلمين من الفرس المعتدِّين بأنفسهم مكانة سامية فلقد سحرهم العربي بأصالته وملاحة وجهه ولطف حديثه، فشرفه وكرامته المتوارثة أجبراهم على اتِّخاذه مثلا أعلى يحتذونه... وقد استطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنَّما بخلقه الكريم وسلوكه الحميد....»[1]

ولم يتوقف دور العرب والمسلمين في صقلية على جزئها الدِّيني وحسب، بل كان لهم دور كبير في نهضة البلاد والقضاء على عادة الاسترقاق والاستعباد، والجهالة والأمية وتساوى النَّاسُ وِفْقًا للقرآن الكريم واهتموا (قادة المسلمين) بالجوانب الاجتماعية للمواطن كالتجارة والثَّقافة والزِّراعة، وحافظوا على خصوصية الصقليين السياسية والاجتماعية والدِّينية.

«اهتم الولاة العرب بالإصلاحات ونشروا ألوية العدل وعنوا بحفر الترع وترقية الزِّراعة فزادت ثروة سكَّانها، وعمَّت فيها الخيرات، وظلَّ العرب المسلمون لا يمتازون عن الأهالي الأصليين بشيء فكلَّ منهم يمارس شعائر دينه، ويتَّبع أسلوب معيشته، بل إنَّ نساء صقلية تشبَّهن بنساء العرب، فانتقبن النّقب الملوَّنة، وانتعلن الأخفاف المذهَّبة، ولبسن الحرير الموشَّى بالذَّهب، وتزينَّ بكل ما تزيَّن به المسلمات[1]» فالعرب والمسلمون ساهموا في بقاء الازدهار والتَّطور في جزيرة صقلية حتَّى بعد خروجهم منها في فترة حكم النورمانديين بخلاف من حكم قبلهم كالرُّومانيين والقوط الذين سُرْعَانَ ما خَرَجوا إلاَّ وذهبت كُلُّ مقوّماتهم معهم.

[1]زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 366 – 367.
[2]أحمد علي الملاّ: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، ص 125.

وجزيرة صقلية كان لها مكانة خاصَّة في نفوس العرب المسلمين فتنازعها العبَّاسيون والفاطميون فانتقل الحكم من الأغالبة إلى الكلبيين، وارتبط اسم صقلية بالخلافة الفاطمية ارتباطًا وثيقًا، حكمها عشرة وُلاَّةٍ كلبيين في خمس وتسعين سنة، نشط خِلاَلَهَا قطاع العمران والثَّقافة، مع انتشار الأمن والهدوء الاجتماعي الذي انعكس إيجابًا بنمو فكري وتقدُّمٍ حضاري فمهَّد هذا لصقلية أن تتزَّعم حركة فكرية كبرى تنافسُ الأندلس ومصر والقيروان، بل واحتلَّت صدارة في مراكزها الإسلامية مقارنة بمثيلاتها.

فكانت جزيرة صقلية همزة وصل في تاريخها الزَّاهر خلال الحكم العربي الإسلامي بين الحضارة الأوروبية النَّاشئة وبين الحضارة العربية، فقد تعلَّم الأوروبيون في مدارس عربية وتَلقُّوا معارف وعلومًا عديدة. فبرز في صقلية فحول وعلماء ومحدّثون وأدباء وفلاسفة كـ: "أسد بن الفرات" وهو صاحب مالك وأسد ابن الحرث والقاضي "ميمون بن عمر" وابن حمديس الصقلي، وغيرهم كثير في مجالات عديدة ك ابن بشرون والشريف الإدريسي والحسن بن يحي المعروف بـ: "ابن الجزار" صاحب كتاب (تاريخ صقلية) كما أنَّ مُدُنًا كثيرة تحمل أسماء عربية.

استولى النورمانيون بعد المسلمين على صقلية ولم يكونوا معادين للإسلام، وحكموها عام 1016 م، وساروا بنفس العقلية العربية في التسامح وتنشيط الحركة العقلية فأبقوا المسلمين على عاداتهم ولغتهم ودينهم وأدخلوا كثيرًا منهم في الجيش ليكونوا جنودا في حروبهم فَكَانَ مِنهُم قُوَّادٌ وعُلَمَاءُ. وكانت العربية لغة رسمية في صقلية طوال حكم النورمان لها فكما ذكرنا أنَّ الحضارة العربية لم تنته مع انتهاء فترة حكم المسلمين لها بل بقي تأثيرها وفاعليتها لما كانت تحمله من رقي على المستوى العلمي والأدبي بل وحتى في العادات والتَّقاليد التي شدَّت النورمان وأدهشتهم فتأثروا بها وحرصوا على الحفاظ على هاته الحضارة في أقطار صقلية فساد الأمن في هاته الجزيرة مما ساعد على تواصل العطاء الفكري العربي الإسلامي فيها«تيسَّر لملك صقلية "**روجر الأول**" أن يَتَّكِئَ على أعمدة الاطمئنان، ويشرع في حكم الجزيرة ومعاملة

المسلمين –وخاصة علماؤهم– معاملة حسنة عادت بالخير لا على الجزيرة فحسب بل على الحضارة الأوروبية بأسرها[1].

وكان للعربية نصيب من القدسية في صقلية فلقد كتب "**روجر الأول**" مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية والعملة النقدية أحد وجهيها فيه كتابة عربية وجاء في بعضها رموزًا إسلامية كالنَّجمة والهلال، وارتدى بعض الملوك حريرًا مطرَّزًا بكتابات عربية يرجع تاريخها إلى **1133م** ولم يتوقف التأثير عند حدود اللِّباس والعملة والمعاملات فقط، فالشِّعر نال حظَّه من التأثير في النورمانيين فظهر عندهم الشِّعر الصِّقلي فقد «كان الشِّعر العربي يمارس في بلاط ملوك صقلية النورمان، وقد برزت المدرسة الصقلية في الشِّعر في عهد الإمبراطور "**فريديريك الثاني**" في القرن الثاني عشر... حيث أنَّه تعلم اللغة العربية وشجَّع ترجمة الكتب العربية كما شجَّع الجغرافيين والفلكيين والأدباء العرب[2]».

تميَّز العطاء الفكري العربي في صقلية بالدَّيمومة والاستمرارية ولم يتوقف في هاته الجزيرة فحسب بل امتد إيطاليا وإسبانيا ومنه انتقل إلى أوروبا مِمَّا ساعد على النَّهضة الأوروبية الحديثة، فترك العرب في صقلية نفائس الكتب وآثارًا فكرية دَالَّة على حضارتهم التي قامت هنالك، فعن طريق التَّرجمة انتقلت ألفاظ عربية أصبحت من لغة الإيطاليين، كما لا تزال مدن وأماكن تحمل أسامي عربية.

حرص الملك "**روجر الأول**" منذ توليه السُّلطة وقيادة صقلية على الاقتداء بالعرب واستمرار الانفتاح على موروثهم وثقافتهم، وقد رفض "**روجر**" الانخراط في الحملات الصليبية على المشرق العربي، و"**روجر الثاني**" ساهم ودعم وتفاعل وامتزاج الحضارتين العربية والأوروبية لما له من اطِّلاع واسع على العلوم وحضارة العرب وعلومها وثقافتها وهذا الذي سَهَّلَ انتقال الحضارة العربية والإسلامية إلى كثير من الدول الأوروبية.

وبذلك كانت جزيرة صقلية القلب النابض ومعبر أساسي لانتقال الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب الأوروبي وإلى يومنا هذا لا تزال صقلية تحمل صبغة عربية إسلامية

[1] أحمد علي الملاّ: مرجع سابق، ص 123.
[2] إسماعيل أحمد ياغي: أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، ص 39.

نظرا لقربها الجغرافي من دول الشَّمال الإفريقي الذين يعملان مع إيطاليا على توطيد العلاقات وإحياء التراث الإسلامي في هاته الجزيرة.

وتبدوا ملامح التأثر بالثقافة الإسلامية واضحة في صقلية وظهر ذلك جليّا في أعمال دانتي، والتي أهمها "الكوميديا الإلهية" التي تحتوي على مرجعيات وإشارات عربية وإسلامية كثير وهي في هيكلتها تبدو محاكاة لحكاية الرحلة إلى الآخرة، وهو ما يظهر في كتابات مؤلفين عرب في القرن الحادي عشر، مثل: ابن شهيد الأندلسي وأبو العلاء المعرّي، كما يمكن أن يكون استوحاه من الأحاديث النبوية حول رحلة النبي محمد المعروفة باسم "المعراج".

3- المبحث الثالث: معبر جسر الأندلس (إسبانيا)

الأندلس ثالث معبر نشط وأهَّم الجسور التي انتقلت من خلالها الحضارة العربية الإسلامية من الشرق إلى الغرب ومن العالم العربي المزدهر إلى العالم الغربي الذي خيَّم عليه الجهل والظَّلامية والفقر.

بلاد تنتمي إلى شبه الجزيرة الإيبيرية أسماها المسلمون الأندلس وهي المنطقة. التي بقيت تحت حكمهم ثمانية قرون من الزَّمن، واسم الأندلس مشتق من " **الأندليش**" أو "**الأندلش**" أو "**الأندلس**" وهي أسماء تسمى بها الوندال الذين سيطروا على أجزاء من الجزيرة الآيبيرية في الفترة من **(408 – 429م)**.

"والأندلس شهدت حروبا وغزوات طوال قبل الفتح الإسلامي لها وكان يطلق عليها إيبيريا فمن (حيث النظام السِّياسي فقد ساء العنصر الجرماني)، أما العنصر الرُّوماني فقد ساد في نظامه الفكري والفنِّي، وما لبث القوط أن نَسوأ لغتهم أمام قوَّة اللغة اللاتينية، ونبذو المذهب الآري، وامتثلوا لمحافل الكنيسة لقاء القوة المعنوية التي كانتا تعوزهم، ولم تَجْدُ محاولات الملك "**غيطشة**" اليائسة في نشر السّلام والرّفاء لإصلاح المجتمع الإسباني. بل أصبح تفكُّكُ البلاد أمرا محتوما لا بُدَّ من وقوعه أمام انعدام القيادة السياسية وانهيار البناء الاجتماعي"[1] .

لم تكن هاته الجزيرة المسمَّاة بإسبانيا مستقرة أو في أحسن أحوالها عند فتح المسلمين لها، فالعرب جاءوا ليبنُوا لا ليهدِمُوا كما جاءوا ليُصْلِحُوا لا لِيُفْسِدُوا وكُلُّ المؤشراتِ التي وَجَدُوهَا تُشير إلى أن هاته الجزيرة كانت آيلة إلى التَّدهور وسوء الأحوال فلا تكافل اجتماعي، وتضييق على اليهود والتمييزُ الطَّبقي فقد كان العبيد ومجموعة من أفراد الطبقة العامة يعيشون البُؤْسَ والتَّعاسة، كما شهدت حالة من اللاإستقرار والعصيان والمؤامرات من أجل الاستيلاء على الحكم.

وصَلَ حَدُّ الحكم القوطي في إسبانيا إلى: "وثوبِ أحد قادة الجيش ويُعْرَفُ بـ "**لذريق**" أو "**رودربجو**" على العرش و توَدِّدِه لمجلس البلاد الذي أفتى بخلع الملك الشرعي وتولية "**لذريق**"

[1] خالد بن محمد مبارك القاسمي: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص7.

أمر الملك فأدى ذلك إلى إثارة النفوس بين النبلاء الذين أَخَذُوا يترقبون الفرصة المواتية للقضاء على "**لذريق**" المغتصب"[1].

هذا الاغتصاب السلطوي أثار حفيظة الناس وخلق نوعا من التمرد من قبل العبيد الذين كانوا يمثلون أغلبية الجيش القوطي وهذا الذي سهَّل على العرب والمسلمين دخول الأندلس بحماسة وكلمة موحَّدَة بُغْيَةَ نشر السلام ومبادئ الحق وتحرير الشعوب من الظلم والفساد.

واختلفت الروايات حول الوقائع التاريخية الدَّافعة للعرب والمسلمين فتح الأندلس فذكروا في سياق تاريخي أنَّ "راوية أخرى مفادها أن أولاد "**غيطشة**" هم الذين اتَّصَلُوا بالعرب ودعوهم إلى فتح اسبانيا ومساعدتهم في إعادة ملكهم المفقود وأنَّ الفتح العربي و نجاحه كان نتيجة لهذا الاتصال، كما تشير بعض المصادر العربية أيضًا إلى مباحثات جرت في"**طنجة**" قبيل الفتح بين "**طارق بن زياد**" وأحد أولاد "**غيطشة**"، بينما يقول آخرون أن هذه المباحثات حدثت قبيل بدء المعركة الفاصلة بين طارق بن زياد وجيش القوط بوقت قصير، وذلك عندما أصبح طارق فعلا في إسبانيا"[2]

فمهما كان السبب وتعدّد فإن الفتح العربي الإسلامي رَكَّز على هدف جوهري وهو نشر تعاليم الدين الإسلامي وبث الرِّسالة المحمّدية الحاملة لكلّ قيم الحضارة والثقافة والأخلاقيات والمُثُل العليا.

"نقل "**طارق بن زياد**" الفتوحات العربية الإسلامية من إفريقيا إلى اسبانيا ودام وصول المسلمين إليها حوالي شهرين ونصف قبل المعركة الفاصلة مع " **لذريق**" في "**كورة شذونة**" وكان لذريق وقتها مشغولا بإخماد ثورة في شمال اسبانيا قام بها "**البشكنس**" في "**نبلونة**" فترك هذه العمليات الحربية سريعًا وبادر بالعودة إلى عاصمته "طليطلة " وخرج من هناك بجيوش كثيفة بلغت عُدَّتُها نحو مائة ألف مقاتل وقيل سبعون ألفا وقيل أربعون ألفا"[3].

تواصلت الفتوحات وزاد توسُّع المسلمين حتى بلغُوا فرنسا وأرسوا قواعدهم وسلطانهم على كلِّ البقاع المجاورة للجزيرة الآيبيرية، حتى قال بعض المفكِّرين الإسبان أنَّ هذا الفتح الإسلامي

[1]خالد بن محمد مبارك القاسمي: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص7.
[2]خليل إبراهيم السامرائي تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 24، 25.
[3]خليل بن محمد مبارك القاسمي: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الكتب والدراسات العربية، 2023، ص 8 – 9.

للأندلس هو بمثابة ثورة إسلامية على الغرب. والعرب لمَّا دخلوا الأندلس في هاته الفترة وجدوها كأخواتها غارقة في الجهل والفوضى والحروب الطاحنة، فانتشر الميزُ العنصري والطبقية، واستغل رحال الكنيسة وعِليةُ القوم على خيرات البلاد دون محاسبة ولا رقابة، وافتقر بقية النَّاس دون أن يكترث لهم أحد فانتشرت السَّرقة والنَّهب وجميع الآفات الاجتماعية، فما كان من العرب بعد إرساءهم قواعد الحكم هناك إلا القضاء على مثل هاته الظواهر التي أنتجت مجتمعا مُنْفَكًّا لا يأتمن فيه النَّاس على أموالهم وأعراضهم، ومحاولة توفير حياة كريمة لكلِّ أهالي الأندلس دون استثناء، «فاتَّجهوا نحو إحياء الأرض الميتة وتعمير المدن الخَرِبَة وتنشيط التجارة الرَّاكِدَة، وإنعاش الصناعة المتأخِّرة حتَّى أصبحت الأندلس في ظِلِّ خلافة قرطبة أغنى الأقطار الأوروبية وأكثرها ازدحامًا بالسُّكان»[1].

حتَّى العرب في فترة حكمهم هناك حدثت نزاعات وشقاقات بعدها فقد توالى على الخلافة في الأندلس سبعة عشر واليا في مدَّة ستة وأربعين عاما. وهذا التعدُّد ما هو إلَّا مؤشر على وجود نزاعات بين الحكَّام العرب، حتَّى حاول "**أبو جعفر المنصور**" الفتك بـ"**عبد الرحمان بن معاوية بن هشام**" بعد أن طارده وكسب حلفاء في إفريقيا والأندلس لكنَّه فشل في فعلته وصَرَفَ نظره عن استعادة الأندلس منه (الأمويين حَتَّى قال "إن صقر قريش هو هذا الأمير الشجاع عبد الرَّحمان، الذي ذهب إلى الأندلس شريدًا طريدًا، واستطاع بذكائه وشجاعته أن يؤسس هناك ملكا عظيما ومنذ ذلك الوقت لقِّبَ "عبد الرحمان" بلقب "**صقر قريش**"[1]، وبعدها توقف النِّزاع بين العباسيين والأمويين واتَّجه أمراء بني أمية إلى البناء والتعمير فأقيمت المساجد في كلِّ أنحاء الأندلس وازدهرت حتى أصبحت مهوى أفئدة العلماء والمُفَكِّرين والأدباء.

وهاته المعابر الثلاث المذكورة من أهم المعابر التي أحدثت نقلة نوعية في إبراز الحضارة العربية الإسلامية وتصديرها إلى الغرب، وهنا هو الصواب المذكور خلافا لما يقوله بعض الغربيين الأوربيين بأن الحروب الصليبية هي التي كانت سببا للتثاقف وانتقال العلوم، بل يقال لهم أن العلوم والمعارف دخلت أوروبا من إسبانيا وصقلية وإيطاليا، وكان لجبال "**البُرْت**" التي

[1] إسماعيل أحمد ياغي: أثر الحضارة الإسلامية في الغرب، ص 34.
1 ينظر: إبراهيم أبوب: التاريخ العبَّاسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب (ش. م. ل)، ط 1، بيروت، لبنان، 1989، ص 33.

شقَّها المسلمون من الأندلس إلى فرنسا وإيطاليا شأن في دخول العلم والفلسفة الإسلاميان من خلال رأس الجسر الثقافي الذي أُسِّسَ في شبه جزيرة آيبيريا إلى أوروبا.

لقد كان التنوع المجتمعي في بلاد الأندلس ظاهرة جميلة ساعد على التثاقف بين الأمم وقد كانت مسْكَنًا الكثير من الأوربيين الآسيويين ويَعُودَ أُم مختلفة بالإضافة إلى موقعها الإستراتيجي الذي منه سطعت الحضارة العربية الإسلامية لتكون بعد ذلك قنديلا تستهدي به الأمم الأخرى في إنشاء مقوِّماتها لتلتحق بركب التَّحضُّر والازدهار.

امتدَّ حكم العرب لبلاد الأندلس ثمانية قرون تخلَّلها بناء حضاري قَلَّ نظيره وتداول عليها فحول سياسيون أداروا البلاد بحكمة جعلت هاته الحضارة باقية معالمها شَاهِدَة إلى يومنا عن ذلك العقل العربي المتطوّر الذي لم يترك آلية تعين على التَّقدم إلاَّ فعَّلها وطبَّقها على أرض الواقع، حتى أصبحت حواضر الأندلس ومدتها تنافس مدن المشرق في عمرانها ووضاءتها بل وأصبحت تجاري المشرق حتَّى في علمائها وأدباءها بل وبزغ فيها علماءٌ فاقُوا أهل المشرق في الصَّنعة حتَّى صارت كتبهم مرجعًا.

كانت هاته أهم الجسور التي انتقلت من خلالها حضارة العرب والمسلمين إلى الغرب الأوروبي، وكانت الأندلس أهمُّها، وسنذكر فيما هو آتٍ أصول المثاقفة في مجالها النَّقدي بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط.

الفصل الثاني:

تجليات المثاقفة النّقدية بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط

المبحث الأول: انتقال مباشر

المبحث الثاني: (قراءة في الأعمال المقتبسة من الثقافة العربية، دانتي –انموذجا–)

1- المبحث الأول: انتقال مباشر

بعدما اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية و دخل المسلمون الأندلس في القرن الأول الهجري مؤسسين دولة إسلامية امتدت حتى نهاية القرن التاسع هجري قويت شوكت المسلمين وازدهرت حضارتهم على جميع الأصعدة و المستويات ففي الحياة الاجتماعية كان التنظيم المجتمعي محكما وفق القواعد الإسلامية، أما علميا فقد بلغت الثقافة أوج رقيها وإذا وقفنا عند المخزون الأدبي و الثقافي في الأندلس وجدنا نتاجا غزيرا و أسماء لامعة في تاريخ الأدب والنقد العربيين ،هاته الأسماء كان أهل الأندلس يعتزّون بها و يفخرون بمكانتهم السّامية في الأدب العربي و سنذكر منهم طائفة و لعلّ ابرزهم وأولهم:

- **أبو علي القالي وإسهاماته النقدية:**

"القالي من أعاظم علماء العربية في اللغة والشّعر واسع المعرفة والرواية، وخصوصا لنحو البصريين وكتبه على غاية التقييد والضبط والإتقان، خلّف نوادر ومؤلفات كثيرة لا زالت قائمة ليومنا هذا ككتاب "الأمالي" و"ذيل النوادر" و"مقاتل الفرسان".[1]

"كان أبو علي القالي من خيرة من قدموا الأندلس بعد دعوة من عبد الرحمن الناصر لتأديب ابنه وكان متشبعا بثقافة المشرق فنقل كل ذلك وأدخله إلى الأندلس ، وهو الذي سكَن قرطبة ونشر بها علمه فلجأ إليه الناس وتأثروا به فمثلا في اللغويات تأسست على يديه المدرسة اللغوية الأندلسية كما حمِل علما كثيرا كدواوين امرئ القيس وزهير والنابغة والخنساء بالإضافة إلى كتب الأخبار و اللّغة و أملى على طلبته الأندلسيين كتابه الأمالي وقد عظُمت استفادتهم منه، ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه أخذا مباشرا الزبيدي الأندلسي صاحب كتاب مختصر العين".[2]

[1] جيلالي سلطاني "الثقافة المشرقية وأثرها في ترسيخ مذهب العرب في الشعر الأندلسي" مجلة التراث العربي 2007 العدد 106
[2] ينظر عبد الله يسري عبد الغني البارع لأبي علي القالي مقالة على موقع الألوكة www.alukah.net ت: 2013/05/06

وللقالي دور بارز في توجيه ركب الثقافة الأندلسية وبرز ذلك في وسائل عدّة نجملها في هاته النقاط:

-جملة الكتب التي أتى بها القالي من المشرق تحتوي أمهات المصادر والينابيع المشرقية

-مؤلفات ذات الطابع الأدبي واللغوي الدّقيق والواضح

" -أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة كان منهم شخصيات مرموقة أدَّت دورا كبيرا في نشر علم القالي ومنهجه منهم الزبيدي وابن القوطية وغيرهم".[1]

أما الكتب و الدّواوين التي أدْخلها القالي إلى الأندلس، فقد نقل لنا ابن خير الإشبيلي أسماءها في فهرسته وهي كتب تأثر بها الغرب (الأندلسيون) بشكل مباشر عزّزت المدرسة الشعرية القائمة على منهاج العرب ومن هذه الكتب : شعر ذي الرُّمة، وشعر علقمة بن عبدة التميمي، ونقائض جرير والفرزدق وشعر الأعشى و غيرها كثير و ممّا لا شكّ فيه أن هاته الأشعار والكتب التي أُدخلت إلى الأندلس أسهمت بشكل مباشر في تثقيف النشء الأندلسي الذي كان متلهفا لمعرفة ما وصل إليه المشارقة في أدبهم وثقافتهم، وهذه الكتب التي نُقلت كذلك تُبيّن لكلّ دارس أنها إرهاصات أولية مهّدت لرسوخ المدرسة القالية التي كانت لها آثار بعيدة في الدوائر العلمية والنقدية الأندلسية.[2]

- **الحكام ودورهم في بعث النقد والأدب:**

للحكام والأمراء الأندلسيين فضل كبير في تشجيع العلم والعلماء، وكان لهؤلاء دور رئيسي في "تكوين الذوق الأدبي، إذ مارس الحكّام بذوقهم العربي منذ فترة تأسيس الإمارة وحتّى بداية

[1] المرجع السابق.
[2] ينظر فهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي

القرن الخامس الهجري وصاية بأن جعلوا الأدب يستمدّ أنموذجه من أبعاد البيئة العربية وأعماقها".[1]

نذكر على سبيل الذكر عبد الرحمن الدّاخل الذي عاش في بيئة عربية أصيلة حاول نقل تلك البيئة بكلّ تفاصيلها إلى الأندلس، وفي فترة حكمه (206هـ/238هـ) بدأ الازدهار الحضاري والثقافي وفي فترة حكم عبد الرحمن قدِمَ زرياب إلى الأندلس، وأسهم في قيام نهضة غنائية وموسيقية بدعم من الأمير عبد الرحمن الأوسط، وزرياب كان له أثر بالغ في نهضة الشّعر وتغيير العادات وتحضّر وتمدّن الأندلسيين بطبائعه وعاداته التي جاء بها والتي شدّت أهل الأندلس أعجبوا بها حتّى مارسوها في حياتهم.

-"خلَف المستنصر بن عبد الرحمن أباه واعتنى بالأدب والأدباء فقد كان هذا الخليفة ملهما محبًّا للقالي الذي ذكرناه آنفا "قبل ولايته الأمور وبعد أن صارت إليه، يبعثه على التأليف وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بواسع الإكرام"[2] وكان جامعا للكتب بحيث يبعث في الأقطار أُناسا في شراء الكتب من التُّجار، و يروى عنه انه بعث بألف دينار لأبي الفرج مقابل كتابه الأغاني، وذكر المؤرخون أن عدد الكتب التي حوتها هذه المكتبة يزيد على أربعمائة كِتاب، فأحدث المستنصر بالله ثورة علميةً وأدبية كبيرة في الأندلس حيث وجّه الأدباء للتأليف و التوثيق للأدب الأندلسي.

ثمّ بعد ذلك حَكَم المنصور بن أبي عامر (366هـ/392هـ) الذي كان كما قال الضّبّي "محبّا للعلم مؤثر للأدب مقداما في إكرام من يُنسبُ إليهمَا ويفد عليه متوسلا بهمَا حظه منهُما وكان له مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلم للكلام فيه بحضرته من كان مقيما

[1] محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط1، 1981م، ص49
[2] محمد سعيد العريان، المعجب في أخبار المغرب، ت عبد الواحد المراكشي، منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط1، 1963، ص100

بقرطبة، وكان حريصًا على الاستماع لإنشاد الشِّعر فيه"[1] فكان على غرار ذلك ينشد الشعراء في مواضيع يقترحها عليهم ارتجالا ثمّ تقام قراءات نقدية تقييمية لأشعارهم .

فهؤلاء الحكام والخلفاء أسهموا في نهضة العلوم والمعارف وازدهارها، وكان نتائج ذلك نهضة في الحركة النقدية فبفضل التشجيع الرّسمي من طرف الحكام للشعراء أتى هذا الاهتمام بالعلوم أُكله بتنوع التصنيفات في كلِّ المجالات وامتلأت مكتبات القصور بالمؤلفات الوافدة والمؤلفات المحلّية، كما شجّعوا الرّحالة ليجوبوا الأقطار الإسلامية لجلبِ العلوم والمصنفات فكانت الرحلة إلى الأندلس في أوجّها ذات أهمية في نهضة العلوم والآداب خاصة النقد.

- **نقد اللغة والتوثيق للشعر من المشرق إلى الأندلس:**

سعى نقّاد الأندلس بعد نقل معارفهم من الشارقة أن يوثقوا النص الشعري من خلال النظر إلى علاقة الشاعر بأسلوبه، وعلى هذا الأساس ميّزوا بين شعر الشاعر وما نُسب إليه، فالنُّقاد أعادوا بعث التراث الشعري العربي الذي تطرّق إليه المشارقة قبل ذلك، حتّى وصل الأمر بهم إلى نقد الشعر المشرقي في حدِّ ذاته وقد طعنوا عدّة شواهد شعرية سواء من حيث صحتها أو روايتها.

"فذكر البطليوسي بيتا كثرت فيه الأقاويل:

يَا جُلّ مَا بَعَدَتْ عَلَيكَ بلَادُنَا * وَطُلَابُنَا فَأَبرقْ بأَرْضكَ وَارْعَد**

قال هذا البيت يروي لابن أحمر ويُروى للمتلمّس وأحد الشعرين مخالف لمعناه في الشعر الآخر"[2].

[1] مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس هجري، ص60

[2] ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ت مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت، ص230.

كما ردّ نقاد الأندلس القصيدة بمفهومها العام وهذا ما قاله أبو القاسم الزّجاج لقول الشاعر:

فَحالِفْ فَلا واللهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً ... مِنَ الأَرْضِ إلّا أَنتَ للذُلِّ عارِفُ

فهذا البيت يشبه قول مزاحم العقيلي "ولم أجده في ديوان شعره، فأظن الذي شبّه إليه توهَّم أنه من قصيدة مزاحم التي أولها:

أَشَاقَتكَ بِالْعَرِين دَار تَأَبَّدَت * مِنَ الْحَيّ وَأَسِفَت عَلَيْهَا عَوَاصِف**

وليس هذا البيت من هذه القصيدة ولا فيها معنى يليق به البيت".[1]

فالتوثيق للشعر كان من المقدَّمات عند النّقاد العارفين بالشعر وهذا ما عهدوه عند المشارقة الذين كان لهم سبق في هذا الباب.

- **ابن رشيق وأثر نقده في الأندلس:**

ابن رشيق مملوك رومي من موالي الأزد، من أهل المسيلة (المحمّدية) في عام 406 انتقل هذا الأخير إلى القيروان ودرس على جماعة من أدباءها وعلمائها ومنهم أبو محمّد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي (وهو الذي كثر استشهاده به في كتابه العمدة)، وأيضا أبو عبد الله محمّد بن جعفر القزّاز القيرواني، انتقل ابن رشيق إلى جزيرة صقلية ونزل في "مازر" (الساحل الجنوبي الغربي) وبقي فيها إلى أن أدركته الوفاة في ذي الحجّة عام 456هـ، والأرض التي أنجبت ابن خلدون والمقري والبوني قادرة على إنجاب غيرهم، ف الحقيقة التاريخية تقول أنه "في زمن باديس الصنهاجي وابنه المعز بلغت القيروان ذروة النّهضة في الحياتين العلمية والأدبية ويكفي أن نذكر أمثال الرّقيق المؤرخ وابن رشيق وابن شرف ..."[2]

[1] المرجع السابق، ص 201

[2] إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان الأردن، دط، دت، ص439.

ولقد ساهم ابن رشيق في نقل التراث النّقدي العربي وهي المهنة التي اشتغل بها كما يُترجم له النّقاد و الدّارسون فقالوا عنه :"أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفي عام 456هـ من أشهر نقاد الشّعر في القرن الخامس الهجري وكتابه العمدة في محاسن الشعر ونقده مشهور بين الأُدباء و النُّقاد وهو أجمع كتاب في بابه ... وكتاب العمدة على أنه بحال من الأحوال من الأصول والمصادر الكبيرة في النقد الأدبي..."[1]، كان قليل التأثر كثير الإبداع فلو قارنّا بين ابن رشيق والعسكري في الصناعتين رغم تشابههما في بناء مؤلفيهما نجد العسكري مصنفا وحسب، في حين كان ابن رشيق حاضرا بحيويته بين نقاد القرن الخامس.

وبعد أن نّضجت قريحة الأندلسيين و تلقفت قرائحهم للاستزادة و التعلم، رحل بعضهم إلى أفريقية و القيروان خصوصا فأخذوا ما كان فيها من العلوم ومن بينها ما كتبه ابن رشيق خاصة في كتابه العمدة ليستنبطو من إجراءاته آليات ينتقدون بها أشعارهم و يتجلى ذلك مثلا في نظرية حازم القرطاجني في تقسيم الأغراض على أساس النظر إلى البواعث، فعلى سعة ثقافته وما وصله من علوم منها موروث ابن رشيق، نراه يخطو خطوة بعيدة أمام الذي قبله في ربط الأغراض بالانفعالات النّفسية التي تبعث على قول الشعر، فمن أمثلة ما أُخذ من مسلمات في نقد الشّعر الأندلسي من ابن رشيق نذكر:

-إذا قصد الشّاعر الفخر استدعى تلك الأوزان الفخمة الباهية الرصينة.

-كل غرض من أغراض الشّعر يوجب نوعا معيّنا من الأوزان فللبسيط بساطة وطلاوة وللخفيف جزالة ورشاقة وللرّمل لِيناً و سهولة، وقد ضبط بعض نقاد الأندلس الشعر وقالوا أنه لا يسمى الشاعر شاعرا إلا إذا:

[1]محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في النقد الأدبي، دار الطباعة المحمدية الأزهر، القاهرة، دط، دت، ص261

*حسن تأليفه و تلاءمت عباراته.

*التسهيل في العبارات و ترك التكلف.

*ايثار حسن الوضع و المبنى.

*تجنب الزّيادة و الحشو.

"ومنه يظهر لنا شاعران شاعر مروٍّ وشاعر مترجّل، وكل هاته المعاني والاستنباطات كانت جليّة في الموروث النّقدي العربي (المشرقي والمغربي) ونخصّ بالذكر هنا كتاب العمدة لابن رشيق الذي اتصل به الغربيون (الأندلس) اتصالا مباشرا"[1].

[1]ينظر المرجع السابق، ص261

2- المبحث الثاني: (قراءة في الأعمال المقتبسة من الثقافة العربية دانتي -انموذجا-)

كثير من المستشرقين المنصفين أقروا بأن التأثير والتأثر واقع بين العرب والغرب فأخذ كل واحد من الآخر بشكل مباشر او غير مباشر فظهرت إلماحات كثيرة ومؤشرات عند المقارنيين وطائفة من النّقاد رأَوا تجليات الحضارة العربية الإسلامية وإبراز دورها المتألق ماضيا وحاضرا ومستقبلا في مضمار التّقدم البشري والتّطور الإنساني، وفي الأدب والفنون سنعرض شخصية بارزة في المجتمع الأوربي كان لها سبقُ أخذٍ من البيئة العربية ألا وهو دانتي صاحب الكوميديا الإلهية.

*تأثير الثقافة العربية الإسلامية على دانتي وتجلّياتها في مؤلفه (الكوميديا الإلهية).

أ- وقفة تعريفية بدانتي إليغري:

"دانتي أديب و شاعر إيطالي وُلد في فلورنسا عام 1265م و هو ينتمي إلى أسرة يُقال أنها تنحدر من أصل روماني نبيل، توفيت والدته منذ الصغر فترعرع مع والده الذي تزوّج من الآنسة لايادي تشاريسمو، درس دانتي الآداب القديمة و اللاّهوت و ساهم بنشاط في الحياة السّياسية لفلورنسا فتغلّب خصوم حزبه عليه فحُكم عليه و على زملائه بالنفي عام 1302م، ومذ ذاك هام على وجهه متنقلا بين مدن إيطاليا، فعرف مرارة الضيق حتّى كاد يهوي إلى درك التّسول و سمح له في عام 1316م بالعودة إلى موطنه على أن يدفع غرامة ويعترف بأنه كان مذنبا و يطلب العفو، فأبى لأنه رأى في ذلك إذلالا لكرامته وظلَّ هائما متنقلا حتى توفي عام 1321م"[1]

[1]ينظر أحمد رويس نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ط1 2002، ص201

ب –الكوميديا الإلهية:

هو عمل ألفه الإيطالي دانتي أليغييري منذ عام 1308 حتى وفاته في عام 1321. تعد الكوميديا الإلهية من أهم وأبرز الملحمات الشعرية في الأدب الإيطالي، ويرى الكثيرون بأنها من أفضل الأعمال الأدبية في الأدب على المستوى العالمي، تتكون هاته الملحمة الدينية من ثلاثة أجزاء: الجحيم المطهر الجنة الأرضية والسّماوية وكل جزء مكون من ثلاثة وثلاثين نشيدا مع مقدمة في نشيد واحد، فالملحمة تحوي مائة نشيد وكل بيت في هذا النشيد يتكون من أحد عشر مقطعا.[1]

الجحيم في الملحمة هو مملكة العقاب وهو برميل على شكل مدرّج تتوزع فيه تسع دوائر تجمع الهالكين وفق عِظَم خطاياهم، وفي الوسط المقابل لمحور الأرض يجلس لوسيغوروس أمير الهالكين، اما المطهر فهو جبل عالٍ مكلّل بالفردوس فيجمع على تلاله السّبع النفوس التي في طور التطهر وعليها يهيمن أمل الخلاص ممزوجا بالتذكارات الحزينة والحنين إلى السّماء.

والملحمة هي رحلة إلى الجحيم والمطهر والفردوس وهي تصوير رمزي لسعي الإنسان إلى خالقه ورجوعه إليه وظفره بالتوبة والمغفرة والخلاص.

و تبدأ الملحمة مذ يضل دانتي الطريق وهو عندئذ في منتصف العمر، فيجد نفسه في غابة مظلمة (رمز الضلال) ويبحث عن مخرج فيرى جبلا رائعا و الشمس تظهر فوقع (رمز المحبة الإلهية) يحاول تسلقه فلا يستطيع لأنه دونه وهذا (رمز الخداع) ويرى أسدا (رمز العدوّ) وذئبة (رمز الشهوة) فيهرب منهم جميعا فيظهر له شبح فرجيل (رمز العقل) فيرشده إلى طريق يمر بالجحيم ثمَّ إلى المطهر ثمَّ إلى الفردوس ،يسير دانتي مع أستاذه فرجيل ويخوض معه

[1]ينظر مقال حنان المالكي. دانتي أليغييري. الموسوعة العربية، 9 سبتمبر 2012.

رحلة عجيبة حيث يجد في قمّته الجنّة الأرضية والتي تظهر له فيها بياتريس التي يصحبها إلى السّماوات السّبع مكان الملائكة و الأرواح المؤمنة، وهناك يُشغَل دانتي عن حبيبته بحب الله بعد أن أوصلته بحبها إلى أعلى درجات الأطهار و المحبين لله.

وقد تُرجمت الكوميديا الإلهية إلى كثير من اللغات ونالت شهرة واسعة، وهذا معتصر ومختصر حول ملحمة دانتي.

د – رسالة الغفران:

"تعد رسالة الغفران لأبي العلاء من أعظم كتب التراث العربي النّقدي وهي من أهم وأجمل مؤلفات المعري وقد كتبها ردا على رسالة ابن القارح وهي رسالة ذات طابع روائي إذ جعل المعري من ابن القارح بطلا لرحلة خيالية أدبية عجيبة يحاور فيها الأدباء والشعراء واللغويين في العالم الآخر وقد بدأها المعري بمقدمة وصف فيها رسالة ابن القارح وأثرها الطيب في نفسه، فهي كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ثمّ استرسل بخياله الجامع إلى بلوغ ابن القارح للسّماء العليا بفضل كلماته الطّيبة التي رفعته إلى الجنّة".[1]

ثم يسترسل في الحديث عن رحلته في الجنّة مع رضوان خازن الجنّة ليلتقي بشعراء وأدباء غفر الله لهم بسبب أبيات قالوها كزهير بن أبي سُلمى والأعشى وعبيد بن الأبرص والنّابغة الجعدي وغيرهم .

ثمّ بوضح قصة دخوله للنار حيث مرَّ بمدائن العفاريت فحاور شعراء الجنّ مثل "ابو هدرش" ثم يلتقي الشعراء من أهل النار ويسامرهم ويسألهم عن شعرهم وروايته ونقده ومنهم امرئ القيس وعنترة وبشار بن برد وطرفة بن العبد وتأبط شرا وغيرهم، وبعد ذلك يعود للجنّة ونعيمها.

[1]ينظر ابو الحسن سلام، الظاهرة الدّرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء، ط1 الإسكندرية، 2004م، ص610

وقد حظيت رسالة أبي العلاء اهتماما بألفا من الأدباء والنقاد والدّارسين لما فيها من غنى لغوي وبعد جمالي وخيال مشوق.

هـ – أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية:

جاءت آراء الباحثين متضاربة في هذا الباب فقال بعضهم أن الكوميديا الإلهية ما هي إلاّ استنساخ لفكرة عربية قديمة أعيد صياغتها و يقصدون بذلك عمل المعري رسالة الغفران في حين أنكره آخرون و اول من أثار هذا الجدل هو المستشرق الإسباني الكاهن بلاثيوس والذي أكد فيها أثر رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية وأيّد هذا القول جمهور من المثقفين العرب، فعبد الرحمن بدوي ثبت عنده أن الكوميديا الإلهية متأثرة بالمصادر الإسلامية فهو يقول " و إذا أردنا تلخيص الموقف قلت إن مسألة المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية تتعلّق خصوصا بكتاب المعراج وبسائر الأخبار الأوربية عن الأخرويات الإسلامية أي أن المسألة تتعلّق بكتب عربية غير علمية دخلت في الثروة الثقافية لأوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر عن طريق اسبانيا"[1] واستدل من قال أن الشاعر الإيطالي قد نسخ خطة الملهاة عن رسالة الغفران بمجموعة من النّقاط سنذكرها بإجمال ثمَّ نفصِّل فيها:

–الرسالتين تصفان أحوال الجحيم و النّعيم.

–كلاهما أظهرا موقفا كلّيا من المجتمع، الإنسان، الكون.

–كان كلٌّ منهما صوفيا بضميره و شاعرا و فنانا في الفكرة و الرّوح.

–الشعراء كان لهم نصيب في الجحيم لدى دانتي و المعري.

–كلاهما رحلة إلى العالم الآخر.

[1] ينظر عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، وكالة المطبوعات- الكويت دار القلم، بيروت، ط3.

–اتخذ المعري "ابن القارح" رفيقا له يحاوره وكذلك دانتي اتّخذ الشّاعر الروماني "فرجيل" رفيقا له.

اتفاق دانتي والمعري في الفكرة والرّوح وتقسيمات الرّحلة. "وقد تأكّدت مسألة تأثر دانتي بالتراث الإسلامي بعد أن قام المستشرق الإسباني (ساندينو) والمستشرق الإيطالي (إنريكو تشيرولي) بنشر الترجمات اللاتينية والفرنسية لوثيقة معراج محمّد في نفس الوقت دون اتفاق مسبق عام 1949م، وعدَّت هذه الوثيقة هي الدّليل الحاسم الذي كان ينقص نظريّة (بلاثيوس) في تأثير التراث الإسلامي على دانتي"[1].

"وقد أثبت المستشرق الإيطالي (تشيرولي) أن أجزاء من هذه الترجمات قد دخلت في كثير من مجموعات المخطوطات التي انتشرت في أوربا عامّة ولاسيما في إيطاليا في هذه الفترة وأنها كانت كفيلة بشيوع قصة الإسراء والمعراج في جميع الأوساط الثقافية الأوروبية في عهد دانتي"[2].

وهناك أوجه كثيرة متشابهة في القصتين تثبت أن دانتي اطلع على عمل المعري و أخذ منه ومن بين ما توافقا فيه شكل العمل و بناؤه، فإذا درسنا العملين دراسة مقارنة وجدنا أن الرسالتين كلاهما رحلة للعالم الآخر فيها خوارق، فرسالة أبي العلاء تبدأ بنهوض ابن القارح من القبر تلبية لنافخ الصور وفي الكوميديا تبدأ ب تيه الشعر في غابة مظلمة لا نور فيها، كما في الأولى لبّى سكان القبور نداء نافخ الصور وكلٌّ يسعى إلى الجنّة بعد الشفاعة والمغفرة فيجتمع في الجنّة مع أهلها وبعض سكانها ثم يعرج إلى النار فيتحدث مع من لمت شملهم المغفرة، وفي الكوميديا يتيه الشاعر فيأتيه دليل هو "فرجيل" لينقذه من الهلاك الأبدي فيزوران معا جهنّم التي امتلأت بالآثمين و المغضوب عليهم ثم يذهبان إلى الجنّة والنعيم.

[1] عبد المطلب صالح، دانتي ومصادره الإسلامية، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والفنون ط1، بغداد1978، ص 33
[2] ينظر صلاح فضل تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي، مؤسسة شباب الجامعة،ط2،مصر 1985م، ص38

خاتمة

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع "أُصول المثاقفة النقدية بين العرب والغرب خلال العصر الوسيط" تجلّت لنا القوة الحضارية العربية الإسلامية خلال العصر الوسيط، وتطرقنا إلى أهم التأثيرات الحاصلة بين الحضارة العربية الإسلامية والغرب الأوربي في فترة سادت فيها الظلامية والتخلف بكل أشكاله في القارة الغربية، وبهذا كانت الحضارة العربية حبل نجاة يُتمسك به وخير منقذ من التّيه.

وقد أبرزنا بذلك المساهمة الفعّالة للثقافة العربية الاسلامية في بناء النهضة الأوربية الحديثة وبه أقر المستشرقون المنصفون كعرفان منهم ومن آبائهم لهاته الحضارة التي كانت خير وافد عليهم.

وعلى ضوء ما قدّمناه بين دفّتي هذا البحث نخلص إلى تسجيل جملة من النتائج نذكرها على النحو التالي:

-الثقافة ركن رئيس تعتمد عليه الأممُ في نهضتها ، وكلّما زاد معدّل ثقافة أمة إلا وكانت رفيعة الحال في سُلّم الدول المتقدمة والعكس كذلك.

-كان للحضارة العربية الإسلامية دور فعّال في الانفتاح على الحضارات الأخرى كما سعت إلى خلق ثقافة جديدة آخذة من كل الثقافات الأخرى ،والحضارة العربية خير مثال على المثاقفة الإيجابية التي أثَّرتْ وتأثرت بالعنصر الآخر وبفكره ليكون نتاج ذلك حضارة بارزة دامت أكثر من ثمانية قرون.

-الفتح الإسلامي هو الدّافع القوي الذي شجّع العرب المسلمين على خرق البرّ و البحر للوصول إلى أوربا ،فتشكلت إمبراطورية عربية إسلامية كانت في بدايتها عسكرية لكنها سرعان ما تحوّلت إلى فتح حضاري و ثقافي لم يشهد لها التاريخ مثيلا.

-دخلت ثقافة العرب وحضارتهم أوربا من ثلاث معابر وطرق رئيسة من جهة الشّرق -الشام والعراق- مرورا بصقلية وصولا إلى الأندلس التي هي محَطّة الحضارة العربية الإسلامية التي دام عزُّها ثماني قرون.

-كان لهاته المعابر دور فعّال في عبور كل ما هو راقٍ من المشرق العربي الإسلامي (العراق والشام) إلى الغرب الأوربي الذي كان يغطُّ في غياهب الجهل و الظلام والضَّلال.

-لم يكن التأثير العربي مقتصرا على الحياة الاجتماعية و إنّما تعدّاه إلى الحياة العلمية ،فقد أفاد كثير من علماء المسلمين الغربَ حتّى جعلوهم قدوات يحتذى بها.

-تأثير الأدب العربي الشعر خاصة في الغربيين أظهر ما يسمى بشعر الموشحات والتروبادور وغيرها وهذه الأشكال الشعرية الباقية ليومنا هذا خير شاهد على أن العرب المسلمين مرّوا من هنالك وتركوا أثرا عميقا.

- لقد ترك النثر العربي أثرا بالغا في التجربة النثرية الغربية وهذا ما لمسناه في محاكاة دانتي لأبي العلاء المعري في قضية الجنة والجحيم ومسألة المعراج.

كانت هاته أهم النقاط التي وقفنا عليها في بحثنا هذا سائلين الله تعالى أن ينفع به كلّ من اطلع عليه ولو بالقليل...

وهذا البحث ليس استقراء للتاريخ فحسب ولا هو بكاء على طلل الآباء وإنما هو تحفيز وتنوير لعقل القاري ودليل له يبني به حاضره وليعلم أن هاته الأمة لن تصلح إلا بما صلح به أوّلها، وليس صعبا أن يرجع المجد وتعود حضارتنا إلى ما كانت عليه إذا تضافرت الجهود وشُدَّت السواعد ورُفعت الهمم.

-انتهى بحمد الله وعونه -

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم، برواية حفص

1-إبراهيم أيوب: التاريخ العبَّاسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب (ش.م.ل)، ط 1، بيروت، لبنان، 1989.

ابن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ت مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، دط، دت.

2-إحسان عبّاس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، دط، دت.

3-أحمد رويس نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة، ط1 2002.

4-أحمد علي الملاّ: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، دمشق، سوريا، 1401هـ/ 1981م،

5-جمال نجيب التلاوي: المثاقفة عبد الصبور وإليوت دراسة عبر حضارية، ترجمة ماهر مهدي وحنان شريف، دار المدى للنشر والتوزيع، ط 1، 2005.

6-جوناثان ليونز: بيت الحكمة (كيف أسَّسَ العرب لحضارة الغرب)، مركز البابطين للترجمة مع الدار العربية للعلوم "ناشرون"، (د. ط)، الكويت، (د.ت).

7-أبو الحسن سلام، الظاهرة الدّرامية والملحمية في رسالة الغفران، دار الوفاء، ط1 الإسكندرية، 2004م.

8-خالد بن محمد مبارك القاسمي: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الثقافة للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2008.

9-خليل بن محمد مبارك القاسمي: تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، دار الكتب والدراسات العربية، 2023

10- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، دار صادر – بيروت، 1964
11- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الرَّاشدين، مكتبة العبيكان للنَّشر والتوزيع، ط 1، الرِّياض، السعودية، 1431هـ / 2010م.
12- شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، (د. ط)، دمشق، سوريا،1996م.
13- صلاح فضل تأثير الثقافة الإسلامية في كوميديا دانتي، مؤسسة شباب الجامعة، ط2، مصر، 1985م.
14- عباس محمود العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية، كلمات للترجمة والنَّشر، دط، 2013م.
15- عبد الرحمن بدوي: دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، وكالة المطبوعات الكويت دار القلم، بيروت، ط3.
16- عبد المطلب صالح، دانتي ومصادره الإسلامية، الموسوعة الصغيرة، منشورات وزارة الثقافة والفنون ط1، بغداد1978.
17- علي بن إبراهيم النملة: النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 3، الرياض، 1427هـ / 2006م.
18- غوستاف لوبون: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، القاهرة، مصر، (د. ت)، ص 164.
19- محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، مؤسسة الرسالة، ط1 1981م.
20- محمد سعيد العريان، المعجب في أخبار المغرب، ت عبد الواحد المراكشي منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ط1، 1963.

21- محمد عبد المنعم خفاجي، دراسات في النقد الأدبي، دار الطباعة المحمدية الأزهر، القاهرة، دط، دت.
22- مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس هجري، ط1، مؤسسة الرسال للنشر والتوزيع، بيروت، 1984
23- ابن منظور: لسان العرب، المادة (ث. ق. ف)، ادب الحوزة، قم، ايران 1984، ج 1.

المجلات:

1- جيلالي سلطاني "الثقافة المشرقية وأثرها في ترسيخ مذهب العرب في الشعر الأندلسي" مجلة التراث العربي 2007 العدد106

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة:.....أ

المدخل: 6

الفصل الأول:.....12

المبحث الأول: معبر الشام والعراق 18

المبحث الثاني: معبر جزيرة صقلية (جنوب إيطاليا).....23

المبحث الثالث: معبر جسر الأندلس (إسبانيا).....28

الفصل الثاني:.....32

المبحث الأول: انتقال مباشر.....33

المبحث الثاني: (قراءة في الأعمال المقتبسة من الثقافة العربية) دانتي –انموذجا–.....40

خاتمة:.....47

قائمة المصادر والمراجع:.....51

فهرس المحتويات:.....55